الطريق إلى الكتابة؟!

لماذا نكتب؟ ولمن..؟ وكيف..؟

علي دنيف حسن

الطريق إلى الكتابة / دراسة

علي دنيف حسن

الطبعة الأولى ، ٢٠٠٨



دار اكتب للنشر والتوزيع

القاهرة ، ١ش المعهد الديني، المرج

هاتف : ٠٢٢٤٤٠٥٠٤٧

موبايل : ٠١٢٩٢٥١٥٩٢ - ٠١٨٢٣٦٣٠٣٥

E – mail : dar_oktob@gawab.com

المدير العام :

يحيى هاشم

تصميم الغلاف :

حاتم عرفة

رقم الإيداع : ٢٠٠٨/٩٧٥٨

I.S.B.N: 978-977-6297-03-6

الطريق إلى الكتابة!!

لماذا نكتب ؟ ولمن.. ؟ وكيف.. ؟

دراسة

علي دنيف حسن

الطبعة الأولى

٢٠٠٨



دار اكتب للنشر والتوزيع

محتويات الكتاب:

فهرست الأشكال والرسوم :

المقدمة :

الكلمة لون وجرس ورائحة.

إنها لمفارقة حقًا عندما نقارن بين حجم ما كتب بمختلف اللغات منذ أقدم الأزمنة وحتى الآن وحجم ما كُتب خصيصًا بشأن عملية الكتابة ذاتها. إذ ليس هناك أي وجه للمقارنة، مثلما لا يمكن مقارنة حبة رمل بصحراء واسعة. صحيح هناك الكثير من الكتب المهمة في قواعد اللغة والبلاغة ومعاني الكلمات وأساليب الإنشاء، ولكنها للأسف تشبه مقادير وجبة طعامٍ ليس لها وصفة لمزجها وصنعها بشكل مفيد. ومن وجوه المفارقة هذه أيضًا أن الكثير من الكتاب والمؤلفين لا يكادون يتحدثون عن تلك الوصفة العجيبة التي من خلالها يصنعون نتاجاتهم الجميلة، وإن تحدثوا، فإنهم غالبًا ما يتحدثون بما يجعل الأمر أشد غموضًا والتباسًا. ليس لأنهم يخفون عنا (سر المهنة) كما يقال، بل لأن لكل واحد منهم طريقته في الكتابة. وهذا ما يعني تحديدًا أنه ليس هناك طريق واحد أو محدد للكتابة. بمعنى آخر، فإن عنوان كتابنا هذا خاطئٌ من أساسه تبعًا لذلك. لكننا من جانب آخر، ولإشاعة الأمل وإنارة ظلام هذه القضية الشائكة، اقترحنا هذا العنوان ليس من أجل الإثارة فقط، بل

لعلنا نساعد في شق طريق واضح للكتابة يمكن لهواقا وعشاقها أن يصلوا إليها عبره.

لا ندعي أنه الطريق الوحيد والصحيح والتام والمتكامل، ولكننا نطمح في اكتمال صحته وتمامه على أيدي سالكيه من خلال الممارسة والتجربة والمثابرة والأمل. كما أن علينا الاعتراف، وربما يكون هذا أحد أسباب قلة الكتب المتخصصة في هذا الموضوع، أن الكتابة في صنعة الكتابة تحيطها المشاكل والصعوبات من كل مكان. ليس في قلة المصادر وقِدَمها وندرتها فحسب، بل في تشابك عناصرها ومفاهيمها ووظائفها وغاياتها. وهو ما شكّل لدينا أزمة حقيقية في طريقة تبويب المعلومات والآراء والأفكار والمقترحات والنصائح وتفريعها وتفصيلها.

ولاندعي أننا قد أتينا بما لم تؤت به الأوائل فكل ما جئنا به ليس أكثر من أحاديث تداولناها مرارًا مع أساتذتنا وأصدقائنا واستقيناها من التجربة العملية. ولم نفكر أنها في يوم ما ستتحول إلى كتاب قد ينفع البعض.

علي دنيف حسن
بغداد - ٢٠٠٧
Alidaneef2005@yahoo.com
alidaneef@yahoo.com

الفصل الأول :

الكتابة بوصفها فعلاً اتصاليًا

لماذا نكتب ؟!!

تعد صناعة الأقلام بمختلف أشكالها وأنواعها تجارة رائجة، ما يعني أن هناك الكثير من الناس الذين يزاولون الكتابة لأغراض شتى. ولا يكاد متجر مهما كان صغيرًا يخلو من نوع أو عدة أنواع من هذه الأقلام بدءًا بأقلام الرصاص مرورًا بأقلام الحبر الجاف والسوفت وصولاً إلى الأقلام الملونة. بمعنى آخر إن هناك آلافا من البشر في أقل تقدير يمارسون مهنة أو هواية الكتابة لأسبابٍ شتى.

ويمكن فرز هؤلاء الناس إلى فئات مختلفة استنادًا إلى ما يأتي:

كم كلمة يكتب الفرد الواحد منهم في اليوم الواحد ؟

ما نوع كتابته ؟

ما الغرض منها ؟

ما مستقبلها ؟

. فليس من شك في أن ثمة فروقات واسعة بين ما يكتبه كاتب في مكتب لبيع الفواكه والخضر، وما يكتبه صحفي في جريدة يومية أو أسبوعية. يمكننا ولحسن الحظ معرفة ذلك ببساطة من خلال هذه الفروقات. فالأول يمارس عمله (أي الكتابة) بشكل

روتيني، وبدون أي إبداع لغوي أو جمالي، وقد تُلقى مدونته بعد ساعات أو دقائق من إنشائها، وقد يجدها شخص آخر بعد عدة أيام وهي ملقاة في مكان ما فلا يحفل بها، ولن يكلف نفسه عناء التقاطها. أما ما يكتبه الصحفي والأديب والباحث فيقع تحت مفهوم الرسالة الإعلامية والعلمية والثقافية. ويكتب مختلف الكتاب لثلاثة أسباب فقط هي: من أجل المال، ومن أجل الشهرة، ومن اجل التعبير عن الذات.

جفي مقال نشره الدكتور علي شلش عنوانه (عندما نكتب: كيف نوحد بين الهواية والهوية) نُشر على موقع البلاغ الالكتروني تضمن إجابات لكتاب عديدين عن سؤال واحد مفاده: لماذا تكتب؟ فأجابوا بالآتي :

النمساوي بيتر هاتكه: ربما أجد الجواب غدًا.

الأسباني خوان جوتسيليو: لو عرفت الجواب لما كتبت.

الأميركي أرسكين كالدويل : كتبت إشباعا لرغبتي في إبداع الشخوص.

الفرنسية فرانسوا ساغان : اكتب لأنني أعشق الكتابة.

الايطالي ألبرتو مورافيا: اكتب حتى افهم سر اندفاعي إلى الكتابة.

الألماني هنريش بول : أحب أن أكتب.

الأسباني روفائيل البرتي : أكتب من أجل السلام.

البرازيلي جورج إمادو: أكتب لكي يقرأني الآخرون، ولكي أؤثر فيهم، ومن ثم استطيع المشاركة في تغيير واقع بلادي وحمل راية الأمل والكفاح.

الصيني باجين : أمارس الأدب لكي أغير حياتي وبيئتي وعالمي الفكري.

الكولمبي غابريل غارسيا ماركيز: أكتب لكي أنال المزيد من حب أصدقائي.

التشيكي يارسولاف سايفرت : أكتب... ربما تعبيرًا عن الرغبة الكامنة في كل إنسان في أن يخلف وراءه أثرًا.

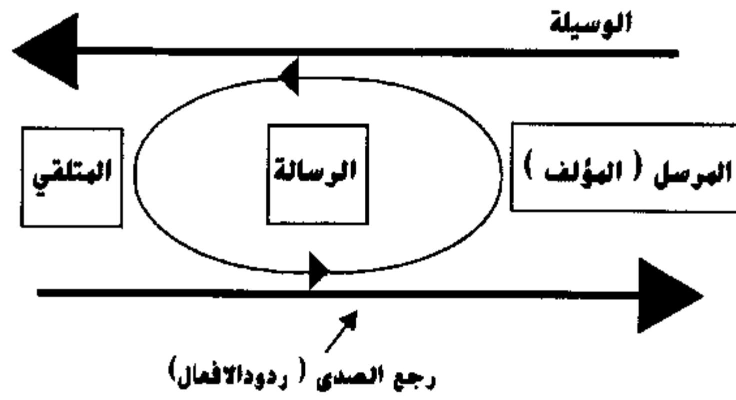
توفيق الحكيم: أكتب لهدف واحد هو إثارة القارئ لكي يفكر.

نجيب محفوظ : أكتب لكي يقرأني الآخرون.

محمود درويش: اكتب.... لأني بلا هوية ولا حب ولا وطن ولا حرية.

مفهوم الرسالة :

بعيدًا عن التفاصيل يصف علماء الإعلام والاتصال ومفكروه لغة الإنسان وكذلك الكتابة وأية رموز أو حركات أخرى بأنها (رسالة) موجهة من شخص هو (المرسل) يوجهها إلى شخص آخر هو المتلقي أو (المرسل إليه) يبتغي من وراء إرسالها تحقيق هدف أو عدة أهداف من تأثير الفعل الاتصالي. لذلك يجب أن تكون الرسالة أيًا كانت رموزها (كلام، كتابة، رسم، صورة، إشارة، أو أي شيء آخر) مفهومة أولاً، أي يستطيع المتلقي فك رموزها، وأن تكون جذابة ومثيرة ومشوّقة، وأن تكون لها القدرة على الإقناع لكي تحقق الأهداف المبتغاة من وراء إرسالها، ويرى هؤلاء أن الرسالة التي لا يصاحبها أي تأثير أو تغيير في فكر وسلوك المتلقي هي رسالة فاشلة، ويعود فشلها لعوامل عديدة سنعالجها في مكان آخر (انظر الشكل -١- عناصر العملية الاتصالية) .



شكل رقم (١) عناصر العملية الاتصالية

أول الرسائل :

لاشك أننا جربنا كتابة رسائل الحب في مرحلة المراهقـــة!!؟ قد يكون من المحزن أو المبهج أيضًا تذكر ذلك الآن، على أيـــة حال، من المنصف القول أن تلك البدايات كانت بدايات طيبة للولوج إلى عالم الكتابة التي نحاول الإلمام بخفاياها، فلقد كانت تلك الكتابات (أقصد رسائل الحب الأولى) تحمـــل في طياقـــا الإبداع الذي بتنا نبحث عنـــه الآن، ولا عجـــب أن يكـــون المبدعون في عالم الكتابة اليوم ممن كانوا يكتبون رسائل الحـــب في بدايات حياقم المراهقة، إذ كتب الـــبعض منـــهم رســـائل أصدقائه الغرامية الموجهة إلى حبيباقم وعبَّروا عن مشاعرهم في وقت مبكر جدًا. في ذلك الوقت حاولنا إقناع المتلقي (حبيبتنـــا المفترضة) بحبنا وبعذابنا وسهرنا من خلال التوسل بالعبـــارات الجميلة والرقيقة، وبأبيات الشعر الموحية الـــتي تعلمناهـــا مـــن الأغاني ومن الكبار، يتذكر البعض إننا أبعدنا كل الكلمات غير المفهومة أو الملتبسة المعنى عن الرسالة في محاولة منا لزيادة التأثير المطلوب. كما أن البعض منا حاول أن يضمخ رســـالته بعطـــر جذاب أو يرفق معها وردة صغيرة زكية الرائحة لكي تـــصبح رسالته فائقة التأثير. وحرص الكثيرون على إن لا تقع رسالتهم في أيدٍ غير الأيدي المطلوبة وهي يد الحبيبة طبعًـــا. واحـــتفظ

الكثيرون منا برسائل حبهم، لاسيما الأولى منها لأطول مدة من الزمن لأهميتها الحميمة والتاريخية وأشياء أخرى.علينا تذكر كل ذلك ونحن نتوجه للدخول إلى عالم الكتابة ، إذ أن هناك تشابها حقيقيا بين تلك الرسائل وعملية الكتابة على الـــرغم مـــن أن بعض العاملين في علوم الاتصال يسمون تلك الرسائل بالرسائل الخيالية. وأوجه التشابه تتلخص بما يأتي:

معرفة المتلقي الذي سنكتب له الرسالة.

معرفة الهدف المتوخى من إرسال الرسالة.

معرفة الأسلوب المقنع (اللغة، الشعر، الرســـوم، الرمـــوز الأخرى).

معرفة مستقبل الرسالة (نتائج) — ردود أفعال.

معرفة الطريقة المثلى و الأنجح لإيصال الرسالة.

الاستمرار في كتابة الرسائل لتحقيق الهدف أو تعزيزه.

وبهذه المقاربة البسيطة يمكننا الإحاطة بأهم اطـــر الكتابـــة ، فيجب أن يكون لنا أولا ما نريد التعبير عنه ، وان نعـــبر عنـــه بشكل واضح ومفهوم بعيدا عن الالتباس ، وان نوجه تعبيرنـــا (كتابتنا) لجمهور معين، وان تكون لدينا أهداف مقصودة من خلال ذلك كله ، وان نعرف نتائج كتاباتنا مستقبلا.

هل لديك ما تود قوله ؟

هناك تشابه واضح بين عملية إنشاء الحديث اليومي (الكلام) وعملية الكتابة. فنحن نتحدث في شتى الأمور منذ استيقاظنا في الصباح وحتى خلودنا للنوم. نتحدث بمختلف الأمور مع أشخاص مختلفين، ويتغير حديثنا تبعا لثلاثة أسس هي:

طبيعة موضوع الحديث.

طبيعة المتلقي (الشخص الذي نتحدث إليه).

طبيعة أسلوب التحدث (مقنع، بهدوء، بغضب، بخوف، بشجاعة، وأساليب أخرى).

ومع ذلك فهناك العديد من المواضيع التي لا نرغب بالحديث عنها لأسباب مختلفة، ولكننا نجد أن لدينا ما نود قوله في أكثر الأحيان.وهي طبيعة بشرية متأصلة في الجميع بدءا من الأطفال مرورا بالشعراء ووصولا إلى المفكرين والفلاسفة، ما يختلف أو يتغير في هذا الأمر هو أهمية القول أو الرأي في موضوع ما. فطبيعة حديث الطفل عن دميته تختلف في واقع الحال عن طبيعة حديث مسئول سياسي عن المخاطر التي تهدد البلاد. فالحديث الأول سيتلاشى بعد نطقه بدقائق أو ساعات، أما الحديث الثاني فسيدور في فلك وسائل الإعلام المختلفة لأيام عدة وقد تكون

له عواقب وخيمة وتداعيات خطيرة. ما علينا تأكيده هنـــا أن اغلب الأحاديث (الكتابات) تشبه إلى حد كبير حديث الطفـــل عن دميته، ولذلك يخبو بريقها سريعا مثل فقاعات ملونة.الذي يبقى هو المهم فقط، ولذلك بقيت الكثير من الكتابات خالـــدة على الرغم من مرور آلاف السنين. وفي هذا المعنى يقول الروائي جورج سيمنون: (لأجل إعطاء الوزن، يرسم الرسام التجـــاري رسما باهتا يمكن لإصبعك أن يخترقه. ولكن رسما – مثل تفاحـــة سيزان – لها وزن وفيها عصير وكل شيء بثلاث ضربات مـــن فرشاته فقط .حاولت أن أعطي كلماتي الوزن الـــذي أعطتـــه فرشاة سيزان للتفاحة. لهذا السبب استعمل كـــثيرا كلمـــات ملموسة وأحاول تجنب الكلمات المجردة أو الكلمات الـــشعرية مثل (الغسق)، إنها جميلة جدا، ولكنها لا تقدم شيئا. أتجنب كل ضربة لا تعطي شيئا لهذا البعد الثالث)(١). أما الروائي ولـــيم فوكنر فإنه يرى أن الكاتب يحتاج لأمور ثلاثة هي (التجربـــة والملاحظة والخيال، وأحيانا يعوض اثنان منهما ، أو إي واحدة منها أحيانًا أخرى نقص الأخريات) (٢)

١- كبار الكتاب ،كيف يكتبون – ترجمة كاظم سعد الدين – دار الشؤون الثقافية – بغداد – ١٩٨٦ - ص ١٠٥

٢- المصدر السابق - ص ٧٩

عودة إلى الرسائل :

يمكن وصف جميع الكتابات القديمة والحديثة بأنها رسائل تختلف تبعا لاختلاف المرسل وطبيعة (مضمون) الرسائل ووسيلة إيصالها وطبيعة المتلقي ومدى استجابته لمضمون الرسالة المستلمة واهتمامه بها. لقد كتب (أرسطو) كتابه (فن الشعر) قبل آلاف السنين ومازال كتابه هذا يحظى باهتمام الكثير من النقاد والمتابعين، وهو مثال حي على الرسالة الناجحة. لقد كان لدى الرجل ما يريد قوله ، ولقد قاله بشكل مميز وواضح ، وكان قوله ناتجا عن خبرة ودقة تحليل وسعة تجربة.

إذن لا يكفي أن يكون لديك ما تريد قوله فقط ، لان الأمر يحتاج لإمكانات أخرى ، ولولا هذه الإمكانات لأصبح كل الناس كتابا لامعين. وأدناه أسماء بعض المرسلين ونوع رسائلهم:

الشاعر — القصيدة.

الروائي — الرواية.

الصحفي — الخبر والمقال وأشياء أخرى.

الفيلسوف - فلسفته بشأن أمر ما، آراؤه أو عقيدته.

الناقد — رأيه بشأن ما أو بقضية معينة.

العالم المتخصص – نظريته ورأيه في كل أو بعض مسائل اختصاصه .

ويمكنك إيجاد الكثير من المرسلين وفقا لهذا التوجه، لاسيما بعد انفجار التخصص الموضوعي الدقيق في مختلف العلوم والفنون والآداب. (انظر الشكل -٢- بعض مضامين الرسالة)



شكل رقم (2) ما قد تتضمنه الرسالة الاتصالية

هل أصبح الموضوع شائكًا ؟

قد يكون الأمر كذلك. إذن علينا اختصار ما قلناه سابقًا على شكل نقاط موجزة :

* لكي تصبح كاتبًا، يجب أن يكون لديك ما تقوله.

*يجب أن يتصف قولك بالأهمية وان يكون جديدا وليس فيه إعادة أو تكرار ممل.

* يجب أن تعرف كيف تعبر عما تريد قوله بدقة ووضـــوح وباختصار.

* يجب أن يكون قولك موجها لشخص أو لجمهور معين.

* يجب أن يستند قولك إلى تجربة عشتها أو حقيقة اكتسبتها أو إلى معلومات حصلت بشكل ما عليها.

* يجب أن تضع قولك في إطار (قالب) أدبي وفني متعـــارف عليه (قصيدة ، قصة، مقال، مسرحية ،عمود صحفي، مقـــال نقدي، بحث أو دراسة، كتاب مفصل أو مختصر، وما إلى ذلك من قوالب الفنون الإبداعية).

* يجب أن ينسجم قولك مع شـــروط ومحـــددات القالـــب الموضوع فيه، إذ أن لكل قالب شروطا ومحـــددات لا يمكـــن

تجاوزها لاسيما بالنسبة للكاتب المبتدئ، إذ لا يصح أن تـــضع فكرة تصلح لان تكون عمودا صحفيا في قالب قـــصيدة علـــى سبيل المثال.

* يجب أن تجد وسيلة ما لنشر ما تريد قوله، وان تتناســـب الوسيلة مع حجم الجمهور الذي تود إيـــصال قولـــك إليـــه، وكذلك مع الوقت والمكان المفترضين للوصول.

الفصل الثاني:

القراءة أولاً!!

"لكي تصبح كاتبًا ممتازًا، عليك أن تكون قارئًا ممتازًا أولاً".

لو سألت أي كاتب سواء كان مبتدئًا أو متمرسًا عن بداياته لقال لك:

كنت اقرأ الكثير من الكتب والمطبوعات الأخرى. فكل الكتاب والمؤلفين خرجوا من رحم القراءة ، فمن خلال الاحتكاك الواعي والمستمر مع كتابات الآخرين يولد الكاتب شيئا فشيئا ويمر بمراحل نمو الإنسان بدءًا من الطفولة مرورا بالفتوة والشباب وصولا إلى حكمة الرجولة والشيخوخة. والقارئ الممتاز يتصف بذهن متوقد وعقل قادر على التحليل والتركيب وصوغ الفروض والمقدمات واستخلاص النتائج وتوجيه النقد الموضوعي لما يقرأه. كما يتسم بذاكرة نشطة يمكنه من خلالها عقد مقارنات ومقاربات بين ما يقرأه حاليًا وما قرأه سابقًا. وله القدرة على عرض الأفكار والآراء التي قرأها بدقة عالية. وهو قادر على تلخيص جوهرها وعلاقتها بالمعارف الأخرى. ولا يمكن الوصول إلى هذا المستوى من الوعي والإدراك بين ليلة وضحاها. بل يتطلب هذا جهدًا مركزًا، ومثابرة مناسبة وبحثًا دائمًا.

ولن نتحدث عن فوائد القراءة كونها معروفة للجميع، فهي تنمي الفكر والإبداع وتصقل الموهبة وتشبع فضول الإنسان وتمده بالمعلومات وترفه عنه وتسليه وتمنحه تخصصًا معينًا. ومن

خلال القراءة المستمرة يتعلم الكاتب ومن دون أن يدري قواعد اللغة واللفظ الصحيح وإيقاع النص وطبيعة الأسلوب.

ماذا نقرأ ؟

يمكن لأي شخص قراءة كل ما يقع بين يديه مـــن كتـــب ومنشورات، لاسيما تلك التي تتلاءم مـــع ميولـــه واهتماماتـــه (فالناس يحبون أن يقرئوا عن أنفسهم وليس عن الكاتـــب)[٣]. فيما يرى أرسكين كالد ويل (أن التزام الكاتب تجاه نفـــسه ثم تجاه قرائه وان يتوجه لهذين العنصرين معا)[٤]. لكـــن الأمـــر يختلف بالنسبة لمن ينوي احتراف الكتابـــة، إذ عليـــه أن يقـــرأ بشكل مختلف عن الآخرين، وان يضع لذلك بـــرامج وخططـــا مدروسة تساعده على بلوغ الهدف.ونرى أن قراءاته يجـــب أن تنحصر بالآتي:

ما يتعلق بعدة الكاتب :

وهي الكتب المتعلقة بآداب اللغة العربية، مثل كتب النحـــو والبلاغة والصرف والإملاء، فضلا عن معاجم اللغة المتخصصة

[3] - كبار الكتاب كيف يكتبون - ص ٥٥
[4] - سمها تجربة – ارسكين كالدويل – ترجمة علي الحلي – دار الشؤون الثقافية – بغداد – ١٩٧٥ - ص ١٥١

بمعاني الكلمات وجذور أفعالها. فمن خلال ذلك يمتلك الكاتب لغة صحيحة بمرور الأيام وديمومة التجربة. كما أن عليه إن يقرأ ما تنشره الصحف من مقالات في التصحيح اللغوي وما يقع تحت باب الأخطاء الشائعة، لكي يمتلك عدته ككاتب قادر على التعبير عن أفكاره بكل دقة وسلامة ووضوح. وان تكون تلك الكتب من مقتنياته الخاصة، لكي يعود إليها كلما احتاج لذلك. فهي ستعيش معه حتى آخر أيامه لارتباطها بعمله في معظم الأوقات.

ما يتعلق بالاختصاص :

وهي الكتب التي تعنى باختصاص الكاتب أيًا كان ذلك الاختصاص، فمنها يستمد الكاتب أصول ثقافته ومعلوماته الشفاهية والكتابية. وهي المصادر التي يستقي منها أفكاره وآراءه لاسيما عندما يقتبس منها ما يدعم بحوثه ودراساته مشيرا إلى تلك المصادر في هوامش بحثه، فتصبح كتاباته أكثر رصانة وموضوعية واحترافا. كما أن عليه إن يرفدها بكل ما هو جديد من إصدارات. إذ إن المعلومات والأفكار والحقائق دائمة الصيرورة والتجدد، فضلا عن أن الدراسات المعتمدة على مصادر حديثة لها قيمة اكبر من تلك المعتمدة على مصادر قديمة. وفي وقتنا الحاضر يمكن أن يجدد الكاتب معلوماته

ومصادره من خلال توفر وسائل النشر الحديثة، لاسيما شـبكة المعلومات الدولية (الانترنيت) وما ينشر في مواقعها المختلفة من معلومات.

ما يتعلق بسيرة الكتّاب والمؤلفين :

يمكن للكاتب أن يتابع السيرة الذاتية للكتاب الكبار الـذين سبقوه في اختصاصه أو أي اختصاص آخر، وكذلك مذكراتهم والحوارات التي أجريت معهم، لكي يطلع على تجاربهم في الحياة العامة والخاصة، وكيف واجهوا الصعوبات التي قابلتهم ؟ بما في ذلك الصعوبات المادية والأزمات الفكرية ومـشاكل النـشر والظروف التاريخية في عصرهم .وكيـف واجهـوا معارضِـي أفكارهم وآرائهم؟ فكل ذلك يساعد الكاتب علـى اسـتلهام العزيمة وبذل الجهد المضاعف في تحقيق هدفه.وفضلا عن ذلـك فإن قراءة مثل هذه الكتب تزيد الكاتب ثقافة واطلاعًا.كما أنها تنمي في وقت مبكر قابليته على الحوار مع الآخرين عـبر مـا سيطلع عليه من حوارات ونقاشات أجريت في أوقات وظروف مختلفة مع كتاب كبار.

أنواع القراءة :

يمكن تصنيف القراءة إلى أصناف عدة تبعًا لعدة متغيرات. ولكننا أثرنا تصنيفها بما يتلاءم مع أهداف هذا الكتاب، وأبرزها:

١- القراءة العشوائية:

وهي القراءة التي تتضمن الاطلاع على مختلف المعارف والمعلومات، كالروايات بمختلف أنواعها وعصورها والقصص القصيرة ودواوين الشعر القديم والحديث وتاريخ الشعوب القديم والحديث. وكذلك الكتب المتعلقة بالفلسفة وعلم النفس والاقتصاد والاجتماع والفنون الموسيقية والتشكيلية والمسرحية، فضلا عن الدراسات التي تعنى بعلوم الاتصال والإعلام كالصحافة والإذاعة والتلفزيون والبث الفضائي والرأي العام والعلاقات العامة. وباختصار فإن الكاتب يقرأ كل ما يقع بين يديه من دون إعادة نظر أو تمحيص فيما يضره أو ينفعه، والضرر المقصود هنا هو ذلك الوقت المهدور جزافًا، والجهد المشتت هنا وهناك. فلو أن الكاتب حصر واقتصر جهده في علم أو أدب أو فن معين لبرز فيه خلال مدة قصيرة نتيجة لتراكم المعلومات وترسخها في ذهنه عبر المتابعة والتكرار. وكأن

الكاتب هنا يريد أن يعرف كل شيء عن كل شيء وهو أمرٌ محال، فقد ذهب زمن الرجال الموسوعيين الذين كان لهم القدرة على الكتابة في مختلف مستويات وأنماط المعرفة بسبب زحمة الحياة وتنوع المعارف وازدياد تفاصيل فروعها ودقتها يوما بعد آخر.

٢ - *القراءة المنهجية :*

وهي عكس القراءة السابقة، ففيها يختص الكاتب بقراءة ما يخص تحقيق أهدافه فقط. ويحرص كل الحرص على عدم تبديد وقته وجهده فيما لا يعنيه من قريب أو بعيد، وبذلك يستطيع تحقيق أهدافه في وقت استثنائي، لاسيما إذا وضع خططًا منهجية و مدروسة لذلك، تتضمن تفاصيل ما قرأه وما سيقرؤه مستقبلاً لاستيعاب اختصاصه المعرفي والإحاطة به من جميع الوجوه إن أمكن ذلك. وتتيح هذه الطريقة للكاتب التعرف على بيئته المعرفية التي يعمل فيها على أحسن الوجوه فلا تفوته شاردة أو واردة فيها، وهو ما يمنحه خبرة حقيقية تساعده على اختيار المواضيع التي سيكتب عنها مستقبلاً. وفي أي المصادر سيجد المعلومات والأفكار التي تدعم آراءه ووجهات نظره. كما انه سيتمكن من خلال ذلك التفريق بين ما هو جديد ومعاد.

وبإمكانه كذلك حتى تصويب أخطاء الكتّاب الآخرين الواقعة في الاختصاص نفسه.

٣ - *القراءة العميقة :*

وهي أفضل أنواع القراءة وأقدرها على تعميق ثقافة وفكر الكاتب لاتصافها بالتأمل الدقيق في النص المقروء والبطء الشديد في هضم الأفكار الواردة فيه وتلخيص ما ورد فيه من آراء ومعلومات وكتابتها في دفتر خاص. فقراءة كتاب ممتاز خمس مرات هو أفضل بلا شك من قراءة عشر كتب ضئيلة المادة. كما أن قراءة وحفظ ثلاث صفحات مهمة في علم ما هي أفضل من قراءة كتب كثيرة لا يبقى منها في الذاكرة أي شيء.

أن معرفة الكاتب بما يجب عليه أن يقرأه أمر في غاية الأهمية، إذ من خلال ذلك يكتسب المهارات اللازمة لعمله بسرعة قياسية بدلا من بقائه دائرا في حلقة مفرغة. ويمكن للكاتب تأشير الكتب المهمة من خلال قراءاته ومن خلال احتكاكه بأصحاب الشأن هذا.

٤ - *القراءة السريعة :*

يتّبع أكثر الباحثين أسلوب القراءة السريعة عند كتابتهم للبحوث والدراسات المتخصصة التي تتطلب الاطلاع على

مصادر كثيرة قد لا يتسع الوقت للاطلاع على تفاصيلها بالكامل.ولذلك يعمد هؤلاء إلى مراجعة فهارس الكتب والمطبوعات لمعرفة الفقرات المعرفية وأماكنها قبل أن يقوموا بتقليب الصفحات بسرعة للوصول إلى الرأي أو الفكرة أو المعلومة التي تدعم بحوثهم ودراساتهم، فيسجلونها في دفتر خاص أو على قصاصات ورقية للاستشهاد بها. وبهذه الطريقة يمكن قراءة عشرات الكتب قراءة سريعة خلال مدة قياسية. والطريقة هذه تنفع في تدعيم النصوص بالأرقام والمعلومات وتاريخ الوقائع والحوادث، إذ أننا غالبًا ما ننسى متى حدثت الثورة الفرنسية ؟ أو متى صدرت أول صحيفة باللغة العربية؟ لكننا، وخلال دقائق، يمكننا معرفة ذلك إذا كنا نتذكر في أي كتاب توجد هذه المعلومات. وبذلك يتم دعم موضوعنا بالمعلومات التي تكسبه دقة ورصانة وتجعله ذا نفع لقارئه.

٥ – القراءة التحليلية :

وهي قراءة يتم من خلالها تحليل النص المكتوب وفق ورقة تحليل أعدت سابقًا. وتتضمن أسئلة واستفسارات عديدة يجب الإجابة عليها بدقة للخروج بنتائج وبيانات وإحصاءات ذات دلالات معينة تخدم أهداف التحليل. ومن ذلك طريقة تحليل المضمون (المحتوى) المستخدمة في تحليل ما تبثه وسائل الإعلام

المختلفة، فيتم من خلالها معرفة اتجاهات وسائل الإعلام ومقدار ما تتضمن رسائلها من دعاية وحرب نفسية، أي القضايا والشؤون التي اهتمت بها في الدرجة الأولى؟ ويمكن لأي كاتب صنع نماذج تحليل خاصة به يستعين بها على تحليل نصوص كبار الكتاب الذين يثيرون اهتمامه بشكل خاص، وأدناه نموذج مقترح للتحليل :

اسم الكاتب :

درجته العلمية :

اختصاصه الدقيق :

عنوان موضوعه :

وسيلة النشر: (كتاب — كراس — جريدة — مجلة — موقع الكتروني...الخ)

تاريخ النشر:

هل الوقت مناسب لنشر الموضوع ؟

عدد كلمات الموضوع :

المشكلة الأساسية في الموضوع :

المشكلات المتعلقة بالمشكلة الأساسية :

هل عرض الكاتب أخطار وتداعيات المشكلة ؟

هل هناك أدلة (حقائق – أرقام – تصريحات رسميــة – أي شيء آخر) عن وجود المشكلة ؟

المعارف والعلوم التي يمكن من خلالها بحث المشكلة الأساسية والمشاكل المتعلقة بها ؟

عدد كلمات المقدمة :

عدد جميع كلمات الموضوع :

عدد كلمات الخاتمة :

هل هناك تناسب بين عـــدد كلمـــات أقـــسام الموضـــوع (المقدمة– البحث – الخاتمة)؟

عدد المصادر التي اعتمد عليها الكاتب في موضوعه.

هل يتناسب حجم الموضوع مع عدد المصادر؟

وهل هي مصادر قديمة أم حديثة ؟

ما عدد الاقتباسات الموجودة في الموضوع ؟

هل هناك توازن بين عدد الاقتباسات وعدد المصادر ؟

هل هناك مصادر اقتبس الكاتب منها أكثر من غيرها ؟

هل ذكر الكاتب كيف عالج الكتاب الذين سبقوه المــشكلة نفسها ؟

ما الأسلوب الذي كتب به الكاتب موضوعه؟ الأســـلوب الصحفي – الأسلوب الأدبي – الأسلوب البحثي ؟

هل طرح الكاتب آراءه ومقترحاته لحل المشكلة ؟

هل كانت الآراء والمقترحات موضوعية أم شخصية ؟

الفصل الثالث:

لمن وعن ماذا نكتب ؟

البحث عن عنوان محدد في مدينة مزدحمة !!

عندما نخرج من مترلنا في الصباح أو في إي وقت آخر، فإننا غالبا ما نفكر في التوجه إلى مكان معين بالذات. صحيح أن في نيتنا التوجه إلى أماكن عديدة أخرى، ولكننا سنفكر في التوجه إليها لاحقا بشكل تسلسلي إي بعد إكمال هدفنا الأول. هـذه طبيعة وشروط الحياة. نحن نتوجه نحو الهدف الأول تبعا لما يسمى بالأولويات المبنية على إحكام وفروض سابقة. بمعنى إن هناك خاصية أو تخصصًا معينًا معروفًا لدينا مسبقًا هو الذي يجعلنا نختار هذا التوجه عن غيره من المقاصد، كما إن الاستعداد النفسي يختلف بين توجه وآخر، فالذهاب إلى مـتنزه جميل لا يشبه بالمرة الذهاب إلى عيادة طبيب أسنان، وهو أمر معروف للجميع. ويمكن القول أيضا: إن الكتابة عن المخاطر النووية في العالم لا تشبه بشكل من الأشكال الكتابة عن فرقة مسرحية أجنبية تزور البلاد حاليا. ولا يمكننا تقديم مسرحية فلسفية مثل (الأبواب الموصدة) لسارتر لجمهور بسيط أغلبه من العامة. ولا يمكن كذلك إرسال مقالة تتحدث عن موسيقى الجاز إلى جريدة أو مجلة متخصصة بالبحوث الاقتصادية إلا في حالة كون المقالة تتناول الموضوع من وجهة نظر اقتصادية.

اعترف أني قد بالغت في سرد الكثير من الأمثلة البديهية. فماذا يعني ذلك ؟

قبل كل شيء يجب عليك التخصص في جنس أدبي أو علم أو فن معين، فليس من المعقول إن تكتب في جميع المواضيع، إذ إن لكل موضوع جمهوره الخاص. ويمكن ملاحظة ذلك من خلال التخصص في الصحف والمطبوعات، فحتى الصحف البسيطة أصبحت لها أبواب وصفحات خاصة تعنى بمختلف شؤون الحياة كل على حدة. ولكل شأن جمهوره الخاص.

لا تكن نحلة ! !

للتخصص فوائد كثيرة منها :

* إنه يختصر الجهد والوقت والمال في طلب العلم والمعرفة.

*ويشكل خلفية تاريخية حقيقية في مجال تخصصك.

*وينشر اسمك بسرعة.

*ويعطيك مكانة مرموقة تبعًا لمواهبك وقدراتك.

*ويضعك في محيط ستصبح قادرًا على العوم فيه بسهولة مع مرور الزمن.

*ويربطك بعلاقات فكرية واجتماعية مع أصحاب الاختصاص نفسه تعود عليك بالمنفعة العامة والخاصة.

إن عملية التنقل بين مختلف الاختصاصات يرهق الكاتب ويبدد جهوده ، فضلاً عن أنه لا يكرس اسمه بصورة مناسبة ، إذ أن الكاتب في هذا الحال لا يمكن عدُّه على اختصاص محدد. وهذا ما يحرمه من الحصول على:

* – عضوية لجان التحكيم في المؤتمرات والمهرجانات الخاصة.

* – سيكون اسمه غريبًا وغير معروف عند إجراء المسابقات الخاصة في حال مشاركته فيها.

*– يصعب تعيينه كمسؤول لنشاطات تتصف بالتخصص الدقيق.

* – لا يركن إلى رأيه في موضوع ليس من تخصصه.

ربما، بل ومن المؤكد انك ستسأل:

من أين ينبع التخصص؟

إن التخصص ينبع من الحب، من الشغف بموضوع معين. والغريب والمشوق أننا عدنا للحديث عن الحب من جديد بعد أن تحدثنا عن رسائل الحب سابقًا.

لاشيء يدفع للتعلم والمثابرة في طلب المعرفة مثـــل الحـــب. وهناك حكمة عملية تقول: عندما تحب أستاذك فانك ســـتحب مادته الدراسية وستتعلمها بسهولة والعكس صحيح. إذن عليك أن تسأل نفسك ماذا تحب؟ أي الأشياء تجدها قريبة إلى نفسك أكثر؟ هناك تراكم تاريخي من الحب تكون داخل قلبك واستولى على مشاعرك واستحوذ على اهتمامك لمدة طويلة من الـــزمن لدرجة انك حصلت على معلومات كثيرة عنه (كتب، دفـــاتر، صور، مدونات مختلفة). ســـيمثل هـــذا خطوتـــك الأولى في الاختصاص. هذا إذا كنت لا تزال على حبك القديم.

أما إذا وجدت فتورًا وجفاء نحو ذلك الحب فعليك البحث عن حب جديد ولكنه سيكلفك غاليًا، سأل أحـــدهم ليـــف تولستوي ذات مرة: كيف يستطيع الإنسان أن يكتب بـــشكل جيد، فقدم له تولستوي نصيحتين ثمينتين:

أولاً: يتعين على الكاتب أن لا يكتب مطلقًا عن موضـــوع غير شائق بالنسبة له شخصيًا.

ثانيًا: إذا أراد الكاتب أن يكتب عملاً إبداعيا ما ولكن كان بوسعه أن لا يكتبه فمن الأفضل أن يتخلى عن فكرته(٥).

٥- دراسات معاصرة – مجموعة أبحاث مترجمة – دار الثقافة الكردية – بغداد – ١٩٧٥ - – ص ١٥

إذن أنت تحتاج للرغبة الصادقة والمعلومات الكافية وهما جناحا التخصص، أي أن تحب تخصصك بشكل حقيقي، وأن تتوج ذلك الحب وتنميه بالمعلومات الجديدة يوما بعد آخر. وعليك أن تعلم أن انقطاعك عن تحصيل العلم والمعرفة يجعلك في آخر طابور المجدين والمجتهدين فالحياة تتجدد مع كل لحظة وهي تجبذ المتجددين دائما.

ماذا ستكتب ؟

قبل أن تكتب أي موضوع عليك أن تعرف إلى أي حقل إبداعي ينتسب موضوعك؟ وإلى أي مدى يلتزم بالأسس الموضوعية والفنية لذلك الحقل ؟

يمكن القول أن الكتابة الإبداعية تقسم على ثلاثة حقول أساسية هي :

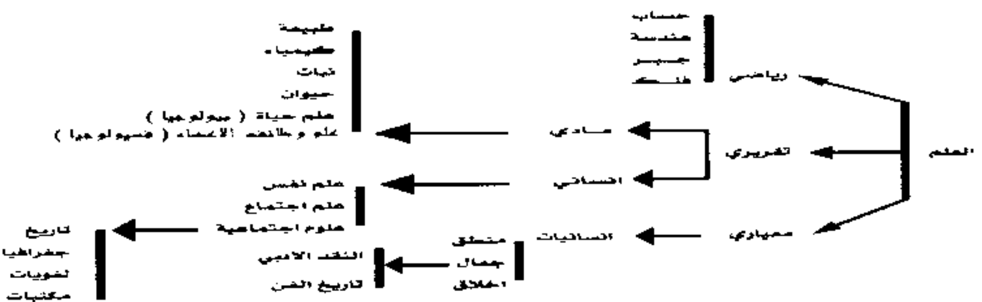
أولاً: الفنون الأدبية، كالشعر والرواية والقصة القصيرة والمسرحية والنقد الأدبي والفني وكتابة السيرة الذاتية وما شابه هذه الفنون.

ثانيًا: الفنون الصحفية كتحرير الأخبار وكتابة التقارير الصحفية والمقالات والعمود الصحفي والافتتاحي والتحقيقات

والاستطلاعات وغير ذلك مما يتعلق بالفن الصحفي والإذاعي والتلفزيوني.

ثالثًا:كتابة البحوث والمقالات والدراسات المتخصصة في مجالات العلوم الطبيعية والإنسانية كالفيزياء والكيمياء والطب والهندسة والأحياء والفلسفة وعلم النفس والاجتماع والاقتصاد وغيرها.

ولكل حقل بل ولكل فرع من فروع هذه الحقول أطره وقواعده العامة التي يجب الالتزام بها أثناء الكتابة ،كما توجد فيما بينها فروق دقيقة يجب معرفتها منعا للتخبط والالتباس (انظر الشكل – ٣ – اطر المعرفة)



شكل رقم (3)
تصنيف العلوم كما جاء في كتاب المعرفة للدكتور محمد فتحي الشنيطي

ربما تسأل ما الاختلاف بين هذه الحقول ؟

يمكن أيجاز أبرز وجوه الاختلاف بالآتي :

١ : الشكل.

إذ أن لكل فن من هذه الفنون شكله الخاص، واعتقد انـــك لاحظت ذلك في وقت مبكر من حياتك، فـــشكل القـــصيدة العمودية، على سبيل المثال، يختلف عن شكل قصيدة التفعيلـــة، والاثنان يختلفان شكليًا عن المسرحية والعمود الصحفي.

٢ : الأسلوب

إذ أن لكل فن أسلوبه الخاص، فضلاً عن أسلوب الكاتـــب نفسه. فكتابة مقال افتتاحي تختلف من ناحية الأســـلوب عـــن كتابة قصة قصيرة أو رواية، بل إن أسلوب كتابة الرواية لـــيس ثابتا ومحددًا. وإنما يختلف تبعًا لاختلاف التقنيـــات الإبداعيـــة للكتاب في هذا المجال، فلكل كاتب أسلوبه الخاص.

٣ : الخيال والموضوعية.

إذ يغترف الأدب مـــن الخيـــال والمـــشاعر والأحاســـيس والانطباعات الذاتية، بينما تغترف الصحافة مـــن الأحـــداث والوقائع الحقيقية لاسيما في مجال نقل الأخبار، وتعتمد البحوث والدراسات على لغة الأرقـــام والحقـــائق وقواعـــد البيانـــات والمعلومات بشكل خاص.

٤: المفاهيم (التعابير الخاصة).

إذ أن هناك تعابير خاصة ومفاهيم متداولة في كل اختصاص مثل: فائض القيمة – عوامل الإنتاج – الفائدة المركبة – غسيل الأموال في علم الاقتصاد. ومثل القيم – الضبط الاجتماعي – في علم الاجتماع. ومثل الوسواس القهري – الكبت – العصاب – العقل الباطن في علم النفس. وهكذا في بقية العلوم والفنون والآداب.

٥ :من ناحية الكاتب.

إذ غالبا ما يُتهم الأدباء بالنرجسية المفرطة وتقديس الذات والميل إلى الانطواء والانكفاء على الذات والرغبة في الوحدة والعيش في الخيال، على عكس الصحفيين الذين يميلون بطبيعتهم إلى الاندماج الاجتماعي والاختلاط بمختلف الشرائح والطبقات عموديًا وأفقيًا، لأن عملهم يشترط أن يكونوا رجال علاقات عامة من طراز مميز ، ويُتَّهم متعاطو الفلسفة بتبرمهم بالناس وميلهم للانعزال والتأمل العميق. مع الاعتراف بأن هناك استثناءآت كثيرة في هذه الأحكام. إن مكان الكاتب ليس في داخل القافلة، فهو أشبه بكشاف باحث وليس بكاتب في هيئة الأركان. إنه لا ينقل ولا يفسر بل يكتشف[٦].

[٦] - دراسات معاصرة – ص ٤٧

ما الجديد في الكتابة ؟

علينا أن نكتب شيئًا جديدًا!!

ما المقصود بذلك؟للإجابة عن هذا السؤال ببساطة، ومن دون الخوض في متاهات الأوصاف والتعابير والتعريفات المتشابكة، علينا العودة إلى قرون عدة مضت. لأننا سنجد ضالتنا في كتاب (كشف الظنون) لمؤلفه "حاجي خليفة". وسنقتطف من مقدمته ما ينفعنا في بكل يسر وسهولة هذا الأمر.

يقول حاجي خليفة : (ثم إن التأليف على: سبعة أقسام لا يؤلف عالم عاقل إلا فيها

وهي : إما شيء لم يسبق إليه فيخترعه

أو : شيء ناقص يتممه

أو : شيء مغلق يشرحه

أو : شيء طويل يختصره دون أن يخل بشيء من معانيه

أو : شيء متفرق يجمعه

أو : شيء مختلط يرتبه

أو : شيء أخطأ فيه مصنفه فيصلحه

وينبغي لكل مؤلف كتاب في فنٍ قد سُبق إليه : أن لا يخلو كتابه من خمس فوائد

استنباط شيء كان معضلاً

أو : جمعه إن كان مفرقًا

أو : شرحه إن كان غامضًا

أو حسن نظم وتأليف

وإسقاط حشو وتطويل

وشرط في التأليف: إتمام الغرض الذي وضع الكتاب لأجله من غير زيادة ولا نقص وهجر اللفظ الغريب وأنواع المجاز، اللهم إلا في الرمز والاحتراز عن إدخال علم في آخر وعن الاحتجاج بما يتوقف بيانه على المحتج به عليه لئلا يلزم الدور

وزاد المتأخرون: اشتراط حسن الترتيب و وجازة اللفظ ووضوح الدلالة وينبغي أن يكون مسوقًا على حسب إدراك أهل الزمان وبمقتضى ما تدعوهم إليه الحاجة فمتى كانت الخواطر ثاقبة والإفهام للمراد من الكتب متناولة قام الاختصار لها مقام الإكثار وأغنت بالتلويح عن التصريح وإلا : فلا بد من كشف وبيان وإيضاح وبرهان ينبه الذاهل ويوقظ الغافل..

وقد جرت عادة المصنفين: بأن يذكروا في صدر كل كتاب تراجم تعرب عنه سموها: (الرؤوس) وهي: ثمانية:

الغرض : وهو الغاية السابقة في الوهم المتأخرة في الفعل

والمنفعة : ليتشوق الطبع

والعنوان : الدال بالإجمال على ما يأتي تفصيله وهو قد يكون بالتسمية وقد يكون بألفاظ وعبارات تسمى: (ببراعة الاستهلال)

والواضع : ليعلم قدره

ونوع العلم : وهو الموضوع ليعلم مرتبته وقد يكون جزءًا من أجزائه وقد يكون مدخلا كما سبق في بحث الموضوع

ومرتبة ذلك الكتاب : أي : متى يجب أن يقرأ ؟

وترتيبه

ونحو التعليم : المستعمل فيه وهو بيان الطريق المسلوك في تحصيل الغاية

وأنحاء التعليم خمسة :

الأول : التقسيم والقسمة المستعملة في العلوم قسمة العام إلى الخاص وقسمة الكل إلى الجزء أو الكلي إلى الجزئيات وقسمة الجنس إلى الأنواع وقسمة النوع إلى الأشخاص وهذه قسمة ذاتي إلى ذاتي

وقد يقسم الكلي إلى الذاتي والعرضي والذاتي إلى العرضي والعرضي إلى الذاتي والعرضي إلى العرضي والتقسيم الحاصر : هو المردد بين النفي والإثبات

والثاني : التركيب وهو : جعل القضايا مقدمات تؤدي إلى المعلوم

والثالث : التحليل وهو : إعادة تلك المقدمات

والرابع : التحديد وهو : ذكر الأشياء بحدودها الدالة على حقائقها دلالة تفصيلية

والخامس : البرهان وهو : قياس صحيح عن مقدمات صادقة وإنما يمكن استعماله في العلوم الحقيقية وأما ما عداها فيكتفي بالإقناع)

الفصل الرابع :

ما قبل الكتابة ! !

التعرف على بيئة الكتابة ومقوماتها :

ثمة أوليات مهمة يجب وضعها في الحسبان قبل الشروع بالكتابة. فقبل كتابة أي موضوع لابد أن نمر بالمراحل التالية وحسب تسلسلها :

* جمع المعلومات.
* تصنيفها.
*انتقاء المهم منها بما يتناسب مع الموضوع وأهدافه.
*معالجتها، أي إعادة كتابتها بأسلوبنا من جديد.

*وضع خطة (خارطة بناء) لعرض الأفكار والمعلومات بطريقة مشوقة وجذابة خالية من التكرار. وللاطلاع على طرق البناء بشكل واضح يمكن مراجعة فهرست أي كتاب، لنرى كيف عرض الكاتب موضوعه بشكل متسلسل بدءاً من المقدمة إلى الخاتمة، كما يمكننا الإفادة من الرسائل الجامعية، إذ نجد فيها سبب اختيار موضوعها، وكيف تابعه الباحث؟ وما رأيه بالبحوث المشابهة لموضوعه ؟ وما أهمية البحث ؟ وكيف تناوله الباحث؟ وما المصادر التي اعتمدها في بحثه ؟ وكيف عرض أفكار بحثه حسب التسلسل؟ وغير ذلك من المعلومات المهمة.

يمكن القول إن خارطة البناء تشبه إلى حد بعيد الهيكل العظمي للإنسان، أي أجزاؤه الأساسية التي تُغطى بلحم الكلمات، ثم يكون لكل جزء وظائفه المرتبطة بشكل ديناميكي مع الأجزاء الأخرى لتحقيق الأهداف. (فالروائي توماس مان قضى وقتا طويلا في جمع المعلومات الخاصة بروايته (أسرة بودنبورك)، وهي رواية تاريخية طويلة تتحدث عن أربعة أجيال تفرقوا لظروف مختلفة في مناطق عديدة. وهو ما اضطره للاتصال بأكثر من شخص والرجوع إلى كتب التاريخ لتسجيل أحداث روايته بصدق لدرجة أنه اتصل بأخيه الصغير من أجل الحصول على شتائم بلهجة أهل ميونيخ.

كما أرسلت له أخته رسالة في ٢٨ صفحة تتضمن معلومات طلبها بهذا الخصوص. وفضلا عن ذلك فقد وضع لائحة بأرقام السنين التي يستخدمها....تاريخ ولادة وموت وزواج شخصياته...لائحة لكل شخص وهناك أربع شجرات للعائلة، وهناك تدوين لانهائي لملامح الشخصيات)(٧) ويصدق هذا القول على الروائي جورج سيمينون الذي كان يستعين بدليل الهاتف والخرائط والتاريخ لرسم شخصياته والعصر الذي عاشت فيه(٨).

٧- في تجربة الكتابة – س. ر. مارتين – ترجمة تحرير السماوي – اصدارات دار المدى – سلسلة كتاب للجميع العدد ٢٥ – بغداد – ٢٠٠٦ - الصفحات ٥٠ ومابعدها.

٨ - المصدر نفسه ص ٧٣ وما بعدها.

مثال تطبيقي :

لنفترض أننا أردنا كتابة موضوع عن الرأي العام ، عند ذلك يمكن تقسيم موضوعنا على سبيل المثال إلى الفقرات الآتية :

مقدمة

تعريف الرأي العام

انواع الرأي

وظائف الرأي العام

جماعات الرأي

العوامل الموثرة في تشكيل الرأي العام

مقومات الرأي العام

خصائص الرأي العام

الرأي العام في الأنظمة السياسية. .... الخ.

ثم نعود فنقسم الفقرات السابقة إلى فقرات فرعية كالآتي:

المقدمة :

نبذة تاريخية.

أهمية الرأي العام.

لماذا ندرس الرأي العام ؟

الرأي العام ووسائل الإعلام.

الرأي العام والدعاية.

تعريف الرأي العام :

يمكن إيراد أكثر من عشرة تعاريف للرأي العام ذكرها متخصصون في هذا المجال.

أنواع الرأي العام :

الرأي العام المحلي.

الرأي العام العالمي

رأي الأغلبية

رأي الأقلية.

الرأي الشرعي.

الرأي القانوني. ....إلى بقية الآراء المتعلقة بهذا الموضوع.

وعلى هذا المنوال نستمر بتقسيم بقية الفقرات،عند ذلك يكتمل بناء الموضوع بشكل مناسب،فنبدأ بالكتابة.كما بإمكاننا تقديم هذه الفقرة أو تلك تبعًا لارتباط معناها أو مضامينها بفقرة أو فقرات أخرى.

مصادر المعلومات :

يمكن الحصول على المعلومات:

عن طريق الخبرة المستقاة من التجربة العملية.

عن طريق الاطلاع على الكتب والمنشورات الأخرى وأوعية المعلومات المتعددة كالأشرطة الصوتية والصورية والنشرات الالكترونية.

عن طريق التحدث مع الآخرين، لاسيما الباحثين والمختصين والمعنيين بالشأن أو الموضوع الذي نكتب فيه.

عن طريق كتابة ملخصات لأهم المعلومات والملاحظات المختلفة.

كما أن علينا قبل الشروع بالكتابة التعرف على بيئتها ومكوناها الأساسية وأبرزها :

المقومات الفنية :

الإملاء :

ونقصد به رسم الحروف والكلمات بشكل صحيح، أي من دون أخطاء ، فضلا عن علامات الترقيم مثل الفارزة/ الفاصلة (،) والفارزة"الفاصلة" المنقوطة (؛) والنقطة المفردة (.) والنقطتين الرأسيتين (:) والشارحة (–) وغيرها. فليس هناك ما يحط من قدر الكاتب كالأخطاء الإملائية، فمن خلالها يستطيع المعنيون بنشر الكتابات معرفة مستوى الكاتب ومدى إمكاناته، وهل هو مبتدئ أو متوسط أو ضليع في هذا الأمر؟ إن أغلب الأخطاء الإملائية للكتاب الجدد تتركز في المحاور الآتية :

طريقة كتابة الهمزة .

التمييز بين كتابة التاء الطويلة والقصيرة.

التمييز بين كتابة الضاد (أخت الصاد) و الظاء (أخت الطاء).

إن الاستعانة بكتاب يتضمن قواعد الإملاء الصحيحة لا يعد كافيا لتحقيق النجاح في هذا الموضوع، إذ تبقى المتابعة والممارسة المستمرة هي العامل الحاسم في تحقيق النجاح المطلوب.

قواعد اللغة العربية :

يخطئ غالبية الكتاب في قواعد اللغة، وتتراوح أخطاؤهم بين الأخطاء الصغيرة مرورًا بالمتوسطة وصولاً إلى الأخطاء الفادحة. وعلينا في هذا الجانب توضيح هذه الدرجات من الأخطاء.

فقولك: جاء المدرسين، يعد خطأ فادحًا، وينم عن جهل واضح بأبسط قواعد اللغة بسبب كون الفاعل في هذه الجملة البسيطة هو المدرسون الذي يجب أن يكون مرفوعًا بالواو لأنه جمع مذكر سالم. وتأتي فداحة الخطأ كونه من الأمور التي يعرفها أغلب خريجي المدارس الابتدائية. وهناك أخطاء لا يدركها حتى القارئ المتمرس لكونها من الأسرار التي لا يعرفها إلا المتبحرين في قواعد اللغة فقط. وهناك أخطاء يطلق عليها (الأخطاء الشائعة)، وهي الأخطاء التي باتت متداولة بين مختلف الكتاب، على الرغم من الكتب والمقالات الصحفية التي حاولت أرشاد الكتاب من دون جدوى إلى تجاوز هذه الأخطاء باستعمال الصيغ النحوية الصحيحة. وينصح العديد من المعنيين بهذا الأمر بما يأتي :

١ – لا تكتب جملة مشكوكًا في سلامتها النحوية، واكتب الجمل التي تعرف قواعدها فقط.

٢ – إذا اضطررت لكتابة جملة مشكوك في سلامتها النحوية ، فعليك الرجوع إلى كتب النحو لحسم هذا الأمر. أو استشارة من هم أكثر خبرة منك في هذا الموضوع.

٣ – القراءة والكتابة باستمرار تجعلك تتجاوز الكثير من الأخطاء.

٤ – تذكر أن أغلب الذين يمارسون الكتابة يخطئون في قواعد اللغة بنسب متفاوتة كما ونوعًا.أن موهبة الكاتب وثيقة الصلة بإحساسه اللغوي، أما المهارة الفنية فإنها ثمرة الجهد المضني الدؤوب(٩).

البلاغة :

لا نريد التوغل في شرح هذا المفهوم تاريخيًا وفنيًا، بل سنحاول إيجازه باختصار لان البلاغة تعني الإيجاز. يقول الإمام علي (ع) في تعريف البلاغة أنها: ما اقترب طرفاه وابتعد معناه. ويؤكد ابن رشيق القيرواني صاحب كتاب (العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده) أنها : إعطاش اللفظ واشباع المعنى. ومما قيل فيها: لا يكون الكلام بليغًا،حتى يسابق معناه لفظه، ولفظه

٩ - دراسات معاصرة – ص ٢٠.

معناه، فلا يكون لفظه إلى سمعك أقرب من معناه إلى قلبك. وقيل (خير الكلام ما قل ودل). بمعنى آخر أن علينا عدم الإسراف في استخدام الكلمات إلا بما يخدم المعنى. ويتم ذلك عن طريق

استخدام الكلمات بدقة متناهية لتعبر عما أريد من كتابتها بشكل واضح ومفهوم لا يلتبس على القارئ، وذلك بإعادة كتابة الجملة أكثر من مرة. فعلى سبيل المثال يمكن كتابة الجملة الآتية: قرر محمد عدم الذهاب إلى المدرسة. بشكل آخر هو: رفض محمد الذهاب إلى المدرسة. وبذلك نكون قد عوضنا عن كلمتين هما (قرر و عدم) بكلمة (رفض). كما أن البلاغة تعنى من جانب آخر بأساليب الوصف الدقيق وبكيفية صياغة التعابير اللغوية بشكل مختصر وجميل وجذاب ولها فنونها العديدة التي لا يمكن شرحها بإيجاز لاسيما في مجالات الشعر والرواية والقصة القصيرة وبقية الأجناس الأدبية.

ما يجب أن نذكّر به هو: ليس هناك كلمتان تتشابهان بالمعنى فمعنى كلمة (قمر) هو غير معنى كلمة (هلال) أو معنى كلمة (بدر). فالبلاغة تعني من جانب آخر الدقة في استخدام الكلمات بما يتناسب مع المعنى الدقيق لها. وهي بعد كل ذلك وقبله عالم واسع ومحيط مترامي الأطراف ولذلك ذكرنا عنها ما يهم موضوعنا فقط.

الأسلوب :

الأسلوب هو طريقة تقديم الأفكار والمعاني والمضامين إلى القارئ، لا نريد أن ندخل في مقدمات مستفيضة لهذا المفهوم ، فهو يشبه بشكل ما طريقة تقديم الأطعمة والمشروبات. ولكل كاتب أسلوبه الخاص الذي تشكل من خلال ممارسته للكتابة ومن خلال ما يعتقد في قابليته على التأثير في القراء، لكن هناك عوامل تؤثر في الأسلوب بشكل واضح أبرزها:

* شخصية الكاتب وبيئته وثقافته.

* طبيعة الموضوع الذي يكتبه، فكتابة قصيدة لا تشبه كتابة تقرير صحفي.

* روح العصر السائدة، فأسلوب مصطفى لطفي المنفلوطي ومحمد حسن الزيات يختلف عن أسلوب محمد التابعي وعلي أمين في معالجتهما للقضايا الاجتماعية. فالأولان يتصف أسلوبهما بكثرة الكلمات الصعبة. أما الأخيران فيمتاز أسلوبهما بالكلمات البسيطة والمفهومة لعامة الجمهور، فضلاً عن وجود السجع في أسلوب المنفلوطي. وكل ذلك متأت من اختلاف سمات العصر، والأساليب السائدة فيه. ويؤكد ايفور براون: لقد أوضح سويفت بدهاء أن التعريف الصادق للأسلوب هو

(الكلمات المناسبة في المكان المناسب)، ويضيف براون :هـي الأفكار المناسبة في ترتيب مناسب)(١٠).

واليكم على سبيل المثال بعض ما قيل بشأن الأسلوب :

(الإيجاز – صنو الموهبة ، العبارة المشهورة لتشيخوف.

الأسلوب هو الإنسان ، عبارة ك.ماركس المفضلة.

الأسلوب هو نسيان الأساليب كافة.على الكاتب أن يبدع لغته الخاصة ولا يستعير لغة جاره وينبغي أن يطـور أسـلوبه باستمرار... ز.رينار.

حاول أن تحصل على الذهب بعملية غربلة المادة.) (١١)

* نوع الجمهور، إذ أن الكتابة للنخبة أو لجمهـور خـاص تختلف عن الكتابة للعامة.

* نوع وسيلة النشر، تختلف الكتابة في مجلة مخصصة للأطفال عن تلك المخصصة لعالم الرياضة أو الكتابة في مجلة علمية.

* حجم الكتابة أي عدد كلماتها ، يفرض حجم الكتابة، في أحايين كثيرة محددات تتعلق بالإيجـاز والتكثيـف أو السـرد والإفاضة.

١٠ - كبار الكتاب كيف يكتبون – ص ٣٠٣.
١١ - دراسات معاصرة ص ٧٠.

الإيقاع :

يقصد بالإيقاع الجرس الصوتي (الموسيقى الداخلية) لألفاظ الكلمات وهي تتعاقب عبر الجمل والأسطر بوتيرة أو بنمط معين. ويمكننا الاستدلال على ذلك من خلال قراءة نصوص الكتاب المعروفين بصوت عال. عندها وبشيء من الانتباه يمكننا تمييز الموسيقى الداخلية للنص. كما يمكن ملاحظة ذلك من خلال شعورنا بالراحة لقراءتنا أسماء الناس، فبعض الأسماء تبدو منسجمة، متوافقة، يتصف لفظها بالتدرج والتتابع السلس والأخرى على عكس ذلك، ويعود ذلك إلى نمط توزيع الحروف الساكنة والمتحركة في الكلمات والجمل كما هو في الشعر، ولكنه أقل حدة وإلزامًا. فلفظ (عبد المطلب ضياء الدين) يبدو أثقل من لفظ (ضياء الدين عبد المطلب). ولفظ (سالم نجم حسان) يبدوان أثقل من لفظ (حسان سالم نجم). ويحتاج الكاتب إلى ممارسة لتفهم هذا الأمر. فللإيقاع دور مهم في إقبال القارئ على النص المكتوب ليكمل قراءته بيسر وسهولة إلى آخره، على عكس النصوص المتعثرة والمبعثرة الإيقاع. فضلاً عن أنه يشيع الدفء في النص مع انسياب جمله وتلاحق عباراته على وتيرة واحدة من البداية وحتى النهاية.

المزاج :

يلعب المزاج الرائق دورًا مهما في انجاز النصوص، ولو تابعنا سيرة الكتاب الكبار لاسيما في مجال الأدب لوجدنا أن أكثرهم لا يستطيعون الكتابة في كل الأحوال والظروف، وقد ينقطع بعضهم عن الكتابة لازمان تختلف في مددها تبعا لتقلب أمزجتهم، كما تتنوع وسائلهم في الحصول على مزاج رائق يساعد على الكتابة. ولكل كاتب من هؤلاء مزاجه الخاص الذي يساعده على إنجاز عمله، فمنهم من يفضل الكتابة بعد منتصف الليل، وآخرون يفضلون الكتابة في الصباح الباكر. فيما يفضل آخرون الكتابة في أوقات أخرى.هذا بالنسبة للوقت وهناك متطلبات خاصة بكل كاتب تتعلق بالمكان ووسيلة الكتابة (قلم، آلة كاتبة، حاسوب) ونوع الورق، ونوع الإضاءة وأشياء كثيرة أخرى، لدرجة أن همنغواي كان لا يكتب أعماله إلا على نوع خاص من الآلات الكاتبة كان يحملها معه أينما حل ورحل، لكن المزاج يعد عيبًا مقيتًا في العاملين في وسائل الإعلام المختلفة، لأن عمل هذه الوسائل يتطلب السرعة القصوى وليس له علاقة بالمزاج وتقلباته التي لا تهدأ. (انظر مقال سيامند إبراهيم بهذا الخصوص في مختارات الكتاب).

الجوانب المادية :

وفضلا عن أبرز الجوانب الفنية التي ذكرناها، هناك جوانب مادية لا غنى للكاتب عنها، ومنها:

١ - الكتب:

وهي المصادر الرئيسة للكاتب في استقاء المعلومات والحقائق، ونرى أن تضم الأصناف الآتية :

* كتبا تعنى بقواعد الإملاء وقواعد اللغة العربيـــة وأســـس البلاغة والإنشاء.

* معاجم تعنى بمعاني الألفاظ العربية مثـــل: معجـــم العـــين للفراهيدي، وأساس البلاغة للزمخشري، ولسان العـــرب لابـــن منظور، أو أية معاجم أخرى.

* معاجم وقواميس وموسوعات تعنى بالمعـــارف المختلفـــة كالفلسفة والاجتماع والاقتصاد والقانون والأديان والمـــذاهب والتاريخ القديم والحديث والأجناس الأدبية والفنون بمختلـــف أنواعها.

* كتب وكراريس ومنشورات تتعلق باختصاص الكاتـــب وتوجهاته المعرفية.

٢ – الأشخاص :

على الكاتب معرفة الكتاب المتميزين في اختصاصه، فيتابع كتاباتهم أولاً بأول، وأن يتخذهم قدوة له، ليتعلم منهم ويحاكيهم وينسج على منوالهم، ويطّلع على المصادر التي اعتمدوها في كتاباتهم حتى ينشط ذهنه ويتفتق إبداعه، فيترك المحاكاة والتقليد ليبدع الجديد وغير المسبوق في مجال اختصاصه.

ثم إنه على الكاتب أن يتعرف شخصيًا على هؤلاء الكتَّاب كلما كان ذلك ممكنًا فيصبح صديقًا حميمًا لهم، عند ذلك يمكنه العيش في وسط اجتماعي وثقافي يعزز من قدراته ويصقل مواهبه يوما بعد آخر، مع التنبيه على أن مثل هذه الأوساط غالبًا ما تتكاثر فيها الجماعات المتنافسة والمتصارعة و تنمو فيها مظاهر التحاسد والتباغض والإزاحة والإقصاء، لكن كل هذه السلبيات ستضيع في بحر من الايجابيات لو أحسن الكاتب التصرف، وعرف كيفية الإفادة من الوسط الذي ينتمي إليه، عندها يمكنه عرض كتابته عليهم ليقوموها بشكل موضوعي قبل نشرها في أية وسيلة نشر. ويتعلم منهم كل ما ينفعه من خلال الاطلاع عن قرب على تجاربهم الشخصية في البحث والكتابة، فضلاً عما يمكن أن يستعيره منهم من مصادر معلومات، وما

يمكن أن يقدموه له من نصائح وإرشادات قد لا يحصل عليها بسهولة.

٣ – وسائل النشر:

هناك طريقتان لنشر النصوص، أولاهما: النشر السريع في الصحف والمجلات والدوريات المختلفة ومواقع الانترنيت. وللطريقة هذه مساوئها مثلما لها حسناتها. فمن حسناتها أنها تكرس شهرة الكاتب بسرعة. وتزجه بسرعة في الوسط المماثل لاختصاصه. ويحصل من خلالها على مكافآت مالية عاجلة.لكن كل ذلك ينطفئ و ينحسر عندما يتوقف الكاتب عن الكتابة. أي أن هذه الطريقة تتطلب الإنتاج السريع والمستمر، وهو ما قد يجعل النصوص المنتجة ضعيفة المستوى، هشة البناء، ضئيلة المعلومات، مكررة الأفكار والآراء، قليلة الفائدة.

والثانية: النشر على شكل كتب. وهي طريقة بطيئة الإنتاج لكنها عظيمة الفائدة. فمن خلالها يترسخ اسم الكاتب في أذهان المتابعين إلى الأبد،لاسيما إذا أصبحت كتبه مصادرًا لبحوث ودراسات جديدة، فضلاً عما تشكله هذه الكتب من تراث شخصي للكاتب. إذ غالبًا ما تقاس قيمة الكاتب بعدد ما ألفه من كتب مهمة. كما يجب التنويه على أن هناك الكثير ممن

لفهم النسيان على الرغم من كتبهم الكثيرة بسبب عدم فائـــدة تلك الكتب لضآلة مستواها الفني والعلمي والمهني.

ويمكن للكاتب مسك العصا من الوسط كما يقال، فيمارس النشر بالطريقتين المذكورتين معًا مع تفهمه لحسنات ومـــساوئ كل طريقة منهما.

بقي علينا أن نعرج على طريقة إلقاء البحوث والدراسات في الندوات والمؤتمرات المتخصصة، إذ تتلخص محاسن ومـــساوئ هذه الطريقة بقيمة المؤتمر والمشاركين فيه والجهة المشرفة علـــى إقامته وصداه العلمي والإعلامي. ويختلف هذا بين مؤتمر وآخر فتختلف نتيجة المشاركة تبعا لذلك.

جوانب مهمة أخرى :

هناك جوانب بسيطة ولكنها مهمة جدًا، إذ من خلالها يمكن التفريق بين الكاتب المتمرس و الكاتب المبتدئ أبرزها:

* لا تكتب على وجهي الورقة واحرص علـــى أن يكـــون الورق الذي تستخدمه من صنف واحد وأن يكون بحجم A4 وأن تكون الصفحات مرقمة حسب التسلسل ومربوطة بدبوس من الأعلى منعًا لتبعثرها، وتأكد أن الخط الجميل المعـــتنى بـــه

يجذب الناشر ويساعده على قراءة موضوعك ومن ثم البت في أمره.

* لا تزوّق كتاباتك باستعمال الأقلام الملونة ولا ترسم في حواشيها أية رسوم أو زخارف. فبعض الناشرين يرى في هذا الإجراء محاولة منك للتغطية على ضعف الموضوع وهشاشته، أو أنه دليل على كونك كاتبًا مبتدئًا.

* انسخ من موضوعك نسخًا عديدة قد تحتاج إليها فيما لو لم ينشر الموضوع أو تعرض للتشويه أو تعرضت بسببه للمساءلة القانونية أو أية تداعيات أخرى.

*في الصحافة لا تلح على نشر مواضيعك، فليس أكره لدى المشرفين على النشر من الكتاب اللحوحين.

*عندما تكتب للصحافة فلا تكتب عن مواضيع سريعة الزوال كالحوادث اليومية العامة، أو الشؤون السياسية المتغيرة. فمثل هذه المواضيع غالبًا ما يكتب عنها المحررون الرئيسون في الصحيفة لأنهم الأسرع والأقرب والأقدر على التعامل معها. وسيصبح موضوعك عديم الجدوى حال انتهاء وزوال تداعيات الحدث.

*احتفظ بأرشيف تاريخي لمواضيعك المنشورة في الصحف والمجلات فسيأتي اليوم الذي تحتاجها فيه.

*عليك أن تتعلم منذ الآن التقنيات الحديثة في الكتابة والمراسلة والنشر عبر الوسائل الالكترونية، فجميع وسائل النشر تحبذ نشر المواضيع التي تصلها عبر بريدها الالكتروني لأنها منضدة الحروف ولا تحتاج إلا للقليل من الوقت لنشرها، على عكس تلك التي تصل وهي مكتوبة بخط اليد ويلزمها وقت طويل لتهيئتها للنشر. كما أن بإمكانك إرسال رسائل عدة وإلى جهات مختلفة خلال لحظات عبر البريد الالكتروني على عكس البريد العادي الذي يلزمه الكثير من الوقت لفعل ذلك.

هل أنت كاتب محترف ؟

يقصد بالكاتب المحترف ذلك الذي تفرغ للكتابة فقط، حتى اتخذ منها حرفة (مهنة له) يحصل من خلالها على المال اللازم لمعيشته ومعيشة عائلته، بعد أن ترك كل الأعمال الاعتيادية التي يزاولها الناس أمثاله. وتختلف الأموال المتحصلة من ممارسة عملية الكتابة بين كاتب وآخر تبعًا لاختلاف شهرة الكاتب وطبيعة نتاجه الثقافي ومدى تقبل الجمهور لكتاباته وإقبالهم عليها. فهناك كتاب تنفذ مؤلفاتهم من الأسواق حال صدورها على الرغم من أسعارها الباهضة، وهناك كتاب تشتري دور النشر الكبرى مؤلفاتهم وهي لم تزل فكرة تدور في أذهانهم. كما أن

هناك كتابا تسعى وسائل الإعلام المختلفة للحصول على أي من نتاجاتهم مقابل أموال طائلة. لم يصل هؤلاء الكتـــاب، وتلـــك حقيقة يجب الاعتراف بها، إلى هذا المستوى من الاحتـــراف إلا بشق الأنفس وعبر سنوات طويلة من الجهد والمثابرة والإبـــداع المتواصل. فهمنغواي لم يكن من النوع الذي يؤمن بأن الكتابة موهبة يمتلكها الإنسان أو لا يمتلكها، أو أنها مـــسألة تتخللـــها الحماسة والمزاجية.الكتابة بالنسبة لهمنغواي كانت حرفة بإمكان الإنسان تعلمها. ..وإتقانها بعد تعلمها جيدًا. لقد فهم مبكـــرًا أن القصة البسيطة ، مجرد قصها، يعتبر مـــن أصـــعب الأشـــياء الموجودة في العالم(١٢). ولو تتبعنا بدايات هؤلاء لوجـــدنا أن أغلبهم عانى من الفقر والحرمان والضياع والتـــهميش قبـــل أن يصل إلى ما هو عليه الآن. بل لقد عمل الكثير من هـــؤلاء في مهن وحرف صعبة وقاسية وهم يمارسون عملية الكتابة حـــتى جاء الوقت الذي تخلصوا فيه من تلك الأعمال الثقيلة ليتفرغـــوا للكتابة فقط. فلا تترك عملك اليومي مهما كان قاسيًا وغـــير منصف مع ظهور أول مقالة لك على صفحات الجرائـــد. لأن ظهورها لا يعني بأي شكل من الأشكال انك قد أصبحت كاتبًا محترفًا. فالبداية شيء والاحتراف شيء آخر.

١٢ - في تجربة الكتابة – ص ١٣.

الفصل الخامس

خمس محطات على طريق الكتابة

قبل البدء في سرد مضامين هذا الفصل علينا الإجابة عن سؤال مفاده: لماذا تفشل الرسالة ؟

أن الرسالة تفشل بسبب :

* عدم وجود لغة مشتركة بين المرسل (الكاتب – المؤلف) والمتلقي (القارئ)، لاسيما إذا كانت اللغة غير مفهومة أساسًا.

* عندما لا تحظى مضامين الرسالة باهتمام المتلقي.

* عندما تكون رموزها (حروفها –مضامينها – رسومها– صورها) مشوهة.

* عندما لا تستطيع الوسيلة (الكتاب – الجريدة – اواي مطبوع آخر) إيصال الرسالة.

* عندما تبقى الرسالة حبيسة لدى المرسل.

*عندما لا ترسل في زمان ومكان مناسبين.

*وعندما تتعرض للحجب أو الحذف المقصود من قبل الرقابة بأشكالها المختلفة.

* وعندما لا يكون المرسل مصدر ثقة بالنسبة للمتلقي.

بعد كل هذه المقدمات، أعتقد أن الوقت قد حان للولوج في خطوات الكتابة.

محطات الكتابة :

قبل الكتابة علينا أن نتذكر قول (تولستوي): (لا تبخل على كلماتك بالحذف، ولا على أسطرك بالشطب،ولا على أوراقك بالتمزيق).

إذ عليك تمزيق أوراقك مهما كان عددها إذا ما وجدتها بائسة وليس فيها ما ينفع القارئ من جميع النواحي.

و" لا تكتب فوق مستوى عقل الجماهير ولا دون ذلك"[١٣]، وعليك التفكير بمشاريعك المستقبلية أكثر من مشاريعك المنجزة، لتتجاوز ما وقعت فيه من أخطاء سابقة بعد تشخيصها من قبلك أو من قبل غيرك. وأن تتلقى النقد بشان كتاباتك بروح رياضية وأن تستمع لناصحيك بمودة. فمن خلال ذلك يمكن تلافي الأخطاء مستقبلا للوصول إلى الإبداع الحقيقي بأسرع ما يمكن. وتذكر أن البداية غالبًا ما تكون شائكة كما وصفها "فكتور هيجو"، وهي تشبه إلقاء النفس فجأة في ماء متجمد كما تصفها كاتبة مرموقة. وان أشهر الكتاب والأدباء لم تنشر كتاباتهم ومؤلفاتهم لسنوات طويلة. إلا أن إصرارهم ومثابرتهم على تجاوز الأخطاء والصعوبات هي التي جعلت منهم

١٣- صحافة بلا دموع – j. Radford. Evans - ترجمة باحثة الجومرد – الموسوعة الصغيرة – العدد ١٤٩ – دار الشؤون الثقافية – ١٩٨٤ - ص ٤٣.

كتابًا مشهورين. و"في لعبة الكتابة يستمر الإنسان في التعلم دومًا" (١٤) وتذكر دائمًا أن الناس لا يولدون عظماء إنما هم يعظمون يومًا بعد آخر"

أساسًا إن فكرة الكتابة هي ما يأتي: الوضوح وصفاء الفكرة، يجب أن يفهم القارئ ما تعني بالضبط، ولا عبرة بمدى تعقيد ما تعنيه، وكثيرًا ما ينتاب الكاتب شعور قوي وشاق بالتعبير عن نفسه بوضوح" (١٥).

ولغرض تحقيق أهداف هذا الكتاب ارتأينا، ولأسباب فنية بحتة، تقسيم عملية الكتابة على خمس محطات في هذا الفصل أولها محطة الإعداد، والثانية محطة الكتابة،والثالثة محطة المراجعة، والرابعة محطة النشر، والخامسة محطة رجع الصدى.

وتتضمن كل محطة عددًا من الخطوات المهمة.

أولاً – محطة الإعداد:

معايير اختيار الموضوع:

يمكننا الكتابة في المواضيع كافة بشرط :

* أن تكون لدينا معلومات كافية عن مضامينها.
* أن تقع ضمن اختصاصنا.

[14] - المصدر السابق - ص ٢١.

[15] - كبار الكتاب كيف يكتبون - ص ١٧٦.

* أن تحظى باهتمام جمهور واسع من القراء لارتباطها بقضايا تشغل بالهم.

* أن يتلاءم أسلوبها مع أساليب العصر السائدة.

* أن تكون مثيرة وجذابة ومشوقة.

* أن لا تكون منافية للعادات والقيم الأخلاقية المتعارف عليها في المجتمع، ولا يعني ذلك عدم توجيه النقد لبعض العادات والتقاليد المتخلفة.

* أن لا يتبع نشرها وترويجها أية مساءلات قانونية.

* أن تعالج مشاكل وقضايا بطيئة الزوال.

* أن تشكل كتاباتنا إضافة جديدة لما كتب في الموضوع نفسه، وتفتح آفاقًا واسعة لتناوله من جديد.

* أن يكون لدينا وسيلة معتمدة لنشرها.

* أن نكون قادرين على الدفاع عما ورد فيها من آراء وأفكار وطروحات.

* أن يتناسب حجمها (عدد كلماتها) مع حجم جوهر موضوعها، فمن غير المناسب تناول موضوع (تاريخ التعذيب في العالم) في مقال قصير أو موضوع (جمال الشفتين) في كتاب كبير الحجم. بمعنى آخر يجب أن يتناسب حجم المشكلة مع عدد الكلمات.

* أن يتناسب حجم الموضوع مع تقاليد النشر في الوسيلة (جريدة، مجلة، أو أي مطبوع آخر) فالجرائد والمجلات اليومية والإسبوعية والشهرية لا تحبذ المواضيع الطويلة (خمسة آلاف كلمة فأكثر)، على عكس المجلات المتخصصة التي تهتم بنشر البحوث والدراسات المطولة و لا تحبذ نشر المواضيع القصيرة.

* أن يكون الموضوع متوافقًا مع سياقات وسياسات وسيلة النشر. فليس من المعقول أن ترسل موضوعا يتحدث عن التاريخ الأسود لحزب ما إلى الجريدة الناطقة باسمه، أو إلى مجلة يمولها الحزب نفسه.

*أن تتيقن أن ما كتبته من مضامين قد يساء فهمها، ولهذا يجب أن تكتب بأعلى درجات الوضوح.

١ – مرحلة جمع المادة الأساسية لفحوى الموضوع:

وهي أبرز المراحل وأهمها على الإطلاق، فمن خلالها يمكن أن يكون الموضوع دسمًا وغنيًا بالفيتامينات (المعلومات المهمة والجديدة). ويتم جمع المادة من خلال المصادر (كتب – مجلات – صحف – نشر الكتروني – وأية منشورات أخرى)، أو من خلال المشاهدة والملاحظة والتجربة العملية، أو من خلال أقوال المعنيين بالمشكلة ، فضلاً عن أية بيانات أو إحصاءات أو وثائق

رسمية. "ولكن إذا كان من الممكن الحصول على تقـارير عـن المعارك القديمة فانه ليست ثمة تقارير عن المعاناة النفسية للجنود والضباط الذين خاضوا غمارهـا " (١٦). وهـذا يعـني أن مسؤولية الكاتب تبقى قائمة في كل الأحوال.

٢ – مرحلة تصنيف المعلومات :

ويتم فيها تصنيف المعلومات المتوفرة إلى فئات عديدة استنادًا إلى:

* طبيعة الموضوع، إذ يمكن تصنيفها إلى:

معلومات تاريخية.

إحصاءات وأرقام.

أقوال وآراء.

الآثار السلبية للمشكلة.

الحلول المقترحة (للكاتب، للمختصين، لأصحاب التجربة).

جداول ورسوم وصور.

* حجم الفئة :

١٦- دراسات معاصرة – ص ٣٣

فئات كبيرة الحجم.

فئات متوسطة الحجم.

فئات صغيرة الحجم.

فئات صغيرة جدا.

* الأهمية :

فئات مهمة جدا.

فئات مهمة.

فئات متوسطة الأهمية.

فئات قليلة الأهمية.

فئات عديمة الأهمية (يفضل عدم إدراجها في الموضوع).

* تحرير المعلومات:

وتعني إعادة كتابة وتهيئة كل معلومة على حده بما يتناسب مع روح الموضوع وجوهره.

٣- مرحلة الانتقاء:

وهي المرحلة الأخيرة في هذه المحطة ، إذ يتم فيها مراجعة المعلومات بعد تصنيفها لتقييم مدى فائدتها في إغناء الموضوع

من عدمه، وغالبًا ما يتم الاستغناء عن بعض المعلومات سواء في هذه المرحلة أو في المراحل اللاحقة تبعا لسياقات عرض الأفكار وتنامي الموضوع بشكل عام.

ثانيًا – محطة الكتابة.

يمكن تصنيف المواضيع استنادًا إلى غاياتها إلى:

١ – مواضيع العرض والتوثيق:

وهي المواضيع الخاصة بوصف الأحداث (الأخبار والتقارير – الرحلات والزيارات والمهرجانات – الأحداث التاريخية – تجارب الشعوب – عروض الأفلام والكتب والمعارض التشكيلية وغيرها)، إذ يكتفي الكاتب بالوصف الحقيقي لما رآه أو اطلع عليه من دون أي تدخل بالتفاصيل.

٢ – مواضيع التحليل والتفسير :

وهي المواضيع التي تهتم بتفسير ظاهرة أو مشكلة أو أزمة أو أي شيء آخر استنادًا إلى وجهة نظر الكاتب أو وجهة نظر غيره سواء كانت تلك الظاهرة سياسية أم اقتصادية، ثقافية أم اجتماعية. وقد يضع الكاتب في نهاية موضوعه الحلول

والمعالجات للظاهرة وقد لا يفعل ذلك مكتفيًا بإطلاق الدعوة لحلها.

٣ – المواضيع الجدلية :

ويهتم كتابها بمناقشة الأفكار والآراء والقرارات السياسية والاقتصادية والنظريات والعلاقات والفرضيات القديمة والحديثة في محاولة منهم لنقدها وتقويمها والرد عليها بأسلوب منطقي وموضوعي من خلال تشخيص مواطن الضعف والخلل فيها، سواء عن طريق الفنون الصحفية (الافتتاحية – العمود الصحفي – التحقيقات.. الخ) أو عن طريق البحوث والدراسات القصيرة والمتوسطة والطويلة. وهي أصعب المواضيع لما يحتاجه الكاتب في تناولها من ثقافة عالية واطلاع واسع وعقل قادر على التحليل والتركيب وصياغة الفروض ومناقشتها بمنطق سليم. ويقع تحت هذا الباب النقد بأشكاله وأنواعه المختلفة.

٤ – المواضيع الأدبية:

وهي الإبداعات الذاتية لعموم الأدباء في مجالات عديدة ككتابة الرواية والشعر بأشكاله المختلفة والقصة القصيرة والقصيرة جدا وكذلك الكتابات المسرحية وغيرها.

يتكون الموضوع غالبًا من عنوان ومقدمة وفحوى وخاتمـة. وسنعالج هذه الأجزاء الأربعة بالتسلسل.

كتابة العنوان :

يعد العنوان أحد شروط نجاح الكاتب. فالكاتب الجيد يهتم بالعنوان كثيرًا، فهو يشبه واجهة المترل وقد قيل: يقرأ الكتـاب من عنوانه، وهو أول ما يقع عليه نظر القارئ. فـإذا اسـتهواه وأعجبه وجذبه قرأ ما تحته. وان لم يحدث ذلك تـرك القـارئ الموضوع برمته، سواء كان ذلك الموضوع قـصة أو مقـالاً أو بحثًا أو أي شيء آخر. وهو أول ما يقرأه القارئ وآخر ما يكتبه الكاتب. ولأهمية العنوان هذه، فقد ألف المعنيون كتبًا خاصة به فقط. فالجمهور لا يشتري الصحف والمجلات إلا بعد تعرضـه لجاذبية عناوينها، وهذا ما دفع بعض الـصحف الكـبرى إلى توظيف خبراء في هذا الجانب تنحصر مهمتهم في كتابة العناوين الممتازة فقط. كما أن هناك الكثير من الناس الـذين يقـرؤون العناوين فقط. (فالرجل القادر على كتابة عنوان جيد يعـادل ثقله ذهبًا في وقتنا هذا، لأن باستطاعة كاتب العنوان أن يعلـم الكاتب الناشئ أمورًا كثيرة، إنه يعلمنا أن نختصر وأن نـوجز أمورًا كثيرة في سطور قليلة) (١٧).

---

[17] - صحافة بلا دموع - ص ٤٩.

وظائف العنوان :

الوظيفة الإعلامية :

أي انه يعلم ويخبر ويبلغ القارئ بفحوى ومضمون الموضوع من دون زيادة أو نقصان. ويجب أن يكون هذا الإخبار صادقا وموضوعيًا وليس فيه أي خداع للقارئ. إذ أن هناك الكثير من العناوين التي لا تدل على مضامين موضوعاتها.

الوظيفة الدعائية :

تنبئ بعض العناوين عن موقف كتابها بشأن قضية أو حدث معين، وهو ما يشكل سلوكًا دعائيًا لمواقفهم إزاء هذه القضايا، مثال ذلك :

(خفايا ثورة مايس التحررية) فالكاتب هنا يعلن اعترافه بثورة مايس ثورة تحررية، على عكس من يراها غير ذلك. ومثل (الحجاج رجل الدولة المفترى عليه). فالكاتب هنا يقف مع الحجاج بوصفه رجل دولة على الرغم من بطشه وقسوته وما ذكره المؤرخون عن مذابحه الكثيرة.

الوظيفة الترويجية :

أي أن يساعد العنوان على ترويج نصه ويدفع القارئ لقراءته، أو لشرائه إذا كان كتابًا أو أي مطبوع آخر.

شروط العنوان الناجح :

* أن يتضمن خلاصة الفكرة الجوهرية للموضوع.

* أن يكون موجزًا ويكتب بأقل الكلمات.

* أن يثير انتباه القارئ ويدفعه لقراءة الموضوع.

* أن يبتعد عن التضخيم والتهويل والمبالغة.

* أن يتسم بالوضوح والبساطة.

* أن يكتبه الكاتب بعد إكمال الموضوع.

* أن يكتب مرات عديدة وبأشكال مختلفة ثم يتم اختيار الصالح منها.

* أن يتماشى مع أساليب العناوين السائدة. فلو أسميت كتابي هذا باعتماد السجع (غرر المكاسب فيما يلزم الكاتب) لتصور القارئ أنه كتاب قديم؛ لأن العناوين القديمة كانت تكتب بهذا الأسلوب.

وتختلف صياغة العنوان بين فنون الكتابة الإبداعية إذ أن لكل جنس سمات يختلف فيها عن غيره، وأبرزها:

العنوان الصحفي :

يعتمد الصحفيون في صياغة عناوينهم على شروط العنوان السابقة ويضاف لها: أن يكون العنوان معبرًا عن جوهر الخبر.

وان يؤخذ من مقدمته ، وأن لا يكون دعائيا ومنحازًا، و يفضل أن يستخدم الفعل المضارع ليدل على التجدد والحركـــة، وأن يتسم بالوضوح والبساطة والاختصار، ويحققون هذه الـــشروط من خلال :

* مبدأ (المعروف لا يعرَّف)، فعندما نخبر عن حضور الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات مؤتمر القمة العربي، نقـــول: "عرفـــات سيحضر مؤتمر القمة". إذ لا داعي لذكر اسمه ومنصبه بالكامل، ولا داعي أيضًا لذكر — العربي — لان ذلك معـــروف ســـلفًا لمتابعي الأخبار.

* استخدام الكلمات البديلة التي قد تعوض عـــن عبـــارات طويلة مثل كلمة : نظيره، كقولنا: - يلتقي منتخبنا بكرة القدم غدا نظيره المصري. فكلمة — نظيره — حلت بالنيابة عن عبارة — المنتخب المصري لكرة القدم. ومثل هذا كثير.

* استخدام الضمائر بكثرة.

*استخدام مختصرات بدلاً من التفاصيل ، مثل قولنا :

" مقتل عشرة بريطانيين في حادث سير". فعبارة — حـــادث سير— أغنتنا عن سرد تفاصيل كثيرة. ومثل قولنـــا: الـــرئيس العراقي والوفد المرافق له. فعبارة (الوفد المرافق له) تنوب عـــن تفاصيل كثيرة.

وهناك أساليب وطرق لصياغة العنوان الـــصحفي يمكـــن تعلمها بالممارسة المستمرة لهذا العمل، والمهـــم في العنـــوان أن

يلخص الحقيقة بأقل كلمات ممكنة. فعندما اغتيل الرئيس المصري "محمد أنور السادات" نشرت بعض الصحف عنوان الخبر بكلمتين اثنتين لا غيرهما هما (اغتيال السادات) وهو عنوان مطابق للشروط الموضوعية في صياغة الخبر الصحفي. وقد يحمل عنوان الخبر حسًا دعائيًا مثل ما نشرت إحدى الصحف في عنوانها الرئيس قائلة: "انفجار الحريري يهز زجاج القصر الرئاسي في دمشق". كما تحرص وسائل الإعلام على خلق التعابير الجديدة، ثم تستخدمها في عناوينها مثل (تحييد الهدف - نيران صديقة - ضربة استباقية - المد الشيعي - التغلغل الإيراني - الخطر الشيوعي - حاضنات الإرهاب - الخلايا النائمة.... وغيرها الكثير)

العنوان الأدبي:

تتصف العناوين الأدبية سواء كانت لروايات أو قصص أو مجاميع شعرية أو أية أجناس أخرى بالذاتية والخيال من خلال استخدام فنون البلاغة لاسيما الاستعارة والكناية والمجاز، وليس شرطًا أن تكون العناوين مختصرة أو تعبر بشكل كامل عن حقيقة مضامينها، بل يكمن نجاحها في إمكانية قراءتها وتأويلها بمعان مختلفة. وغالبًا ما تتسم هذه العناوين بالفرادة والغرابة والجمال، ومنها هذه العناوين التي وضعت لمجاميع شعرية (لمريض اسمه الأمل - خلاء هذا القدح - آخرون قبل هذا

الوقت – تعالي نذهب إلى البرية – أثر بعد عين – صقر فوق رأسه شمس – الأب في مسائه الشخصي – الولد الدائري – أقوال جديدة عن حرب البسوس – البكاء بين يدي زرقاء اليمامة – مترل الأقنان – أهزوجة الليمون – وغيرها).

وهذه عناوين وضعت لروايات (حب في زمن الكوليرا– صباح الخير أيها الحزن – مائة عام من العزلة – لمن تقرع الأجراس – مذكرات من بيت الموتى – ذهب مع الريح – عبدة الصفر – الوقائع الغريبة والعجيبة لارنديرا الطيبة وعمتها الشيطانية – عشيق الليدي تشاترلي – الحارس في حقل الشوفان – الساعة الخامسة والعشرون – سابع أيام الخلق – خفة الكائن التي لا تحتمل، وغيرها).

وأدناه عناوين لأفلام سينمائية لاقت رواجًا في وقتها على الرغم من اتصاف هذه العناوين بالطول وهي:

(ساعي البريد يطرق الباب مرتين – انتظر حتى يحين الظلام – كل شيء هادئ في الجبهة الغربية – جسر على نهر كويتو – أحدهم طار فوق عش الوقواق – إنهم يقتلون الجياد أليس كذلك ؟– من أجل حفنة دولارات – رجال في الدائرة الحمراء – سقوط الإمبراطورية الرومانية).

وقد ركزنا في اختيارنا لهذه العناوين على طولها أكثر من أي شيء آخر، لتوضيح أن الاختصار ليس شرطا من شروط

العنوان الأدبي، ولنبين مدى إغراقها في الخيال كثيرًا، وعدم تعبيرها عن مضامينها، لاسيما إذا تذكرنا رواية امبرتو ايكو الرائعة (اسم الوردة) التي لم نجد أية دلالة لعنوانها هذا على مضمونها بالرغم من كون ايكو ناقدًا وله مؤلفات كثيرة في علم الدلالة.

بقي علينا أن ننوه أن مثل هذه العناوين يمكن استخدامها في التحقيقات الصحفية وفي البرامج الجماهيرية.

عناوين البحوث والدراسات :

تتميز عناوين البحوث والدراسات بصدق تعبيرها عن مضامينها، وتتصف بالاختصار والابتعاد عن الخيال والذاتية، وعلى الرغم من اتصاف بنائها بالبساطة أحيانًا، إلا أنها غالبًا ما تكون غير مفهومة لغير المختصين والمتابعين، لاحتوائها على مفاهيم خاصة تتعلق بعلوم ومعارف معينة مثل (قراءة فينومينولولوجية لمونادات لايبتز - حساب الكلف ودوال الإنتاج في الصناعات الصغيرة - المذهب الحواري لباختين - خصائص الشد والزحف لالياف البولي استرين - دالة الاستهلاك الخاص في العراق - تاثير رش البورون بتراكيز عالية - حساسية العنقودية الذهبية للبيوسين الخام في الزجاج، وغيرها).

طرق صياغة العناوين :

وهذه أبرز طرق صياغة العناوين لمقالات وكتب وروايات وقصص وأفلام ومسلسلات تلفزيونية وأخبار ومقالات مختلفة :

في صيغة سؤال:

من قتل حكمت الشامي ؟ من يفتح باب الطلسم ؟ أين تختفي السيارات المسروقة ؟هل انتهى زمن المعجزات ؟كيف تتعامل مع الآخرين ؟ لمن تقرع الأجراس ؟

في صيغة إجابة :

وهكذا أصبحت مطلقة !!، عذرًا أستاذي لم اقصد ذلك، وسقطت في بحر العسل، لن أعيش في جلباب أبي، لم أكن أعرف أنها مخدرات!!

في صيغة أسماء موصوفة:

الأرض الطيبة، الأمريكي البشع، القطار الأخير، الحرب القذرة، قصة حب.

وهناك صياغات تعتمد أساليب اللغة العربية كافة كالعطف والإضافة وغيرها، ولكننا سنوضح أهمها:

التقديم والتأخير:

مثل: المتقاعدون يبحثون عن زيادات جديدة في رواتبهم بعد أن باتوا على هامش الحياة، يصبح العنوان بالشكل الآتي:

(بعد أن باتوا على هامش الحياة. .المتقاعدون يبحثـون عـن زيادات جديدة لرواتبهم).

أو: من اجل تطويق الأزمة..خادم الحرمين يصل القـاهرة. ويسمى الجزء الأول (بعد أن باتوا على هامش الحياة) و(مـن اجل تطويق الأزمة) بالعنوان الاستهلالي، ويستخدم للـتخلص من رتابة العنوان ونمطيته.

الجمع بين الأضداد:

مثل (العسل المر- المساء الشرس – الحب القاتل – الحـزن السعيد –الطائر الحجري – ذكرى الحاضر - الهواء الصلب – غابة الجماجم – الصعود إلى الهاوية)

استخدام الاستعارة :

مثل : (أغاني الرماد، شفاه تحترق، بئر الحرمـان، خـيط الأمنيات، أجنحة الثعالب – جنون من حجر – براري الفـؤاد – أحزان مثلجة – نشيد الكركدن – وليمة لأعشاب البحر).

استخدام التصحيف :

(تقديم وتأخير بعض الحروف في الكلمة الواحدة أو إبدالها بحروف أخرى) مثل: (جنة عدم) (عابر سرير)

وهناك أساليب عديدة أخرى.

مقومات الإثارة :

تنبع الإثارة في العنوان من :

فرادة المكان :

مثل (إرهابي داخل مبنى الكونغرس) (سقوط طائرة على متحف اللوفر) (جريمة في الفاتيكان).

فرادة الزمان:

مثل (ست دقائق فوق بغداد) (عشرة أيام هزت العالم) (الساعة الخامسة والعشرون) (قبل ساعات من رحيله. ...)

فرادة الحدث :

مثل (القبض على سفاح لندن) (قاض يغتصب فتاتين) (سرقة بنك الودائع الدولي).

ضخامة الحدث :

مثل (أنفلونزا الطيور ينتشر في آسيا وأفريقيا) (ثقب الأوزون يهدد العالم).

وجود الشخصيات الشهيرة :

مثل (كنت مع الرئيس) (ماذا يحب كاسترو؟) (حوار مع بيكاسو) (العثور على مذكرات القيصر).

وجود الصراع :

مثل (القوات الأثيوبية تجتاح الصومال) (روسيا تهدد باستخدام الفيتو).

كلمات تبعث الإثارة والفضول بطبيعتها :

هناك العديد من الكلمات التي تبعث الإثارة في نفس القارئ وتدفعه لقراءة الموضوع مثل (خفايا – أسرار – غموض – سحر – روح – طقوس – خرافة – أسطورة – فظائع – فضائح وغيرها).

وهذه بعض العناوين التي استخدمت فيها هذه الكلمات :

خفايا زيارة كسينجر للقاهرة.

أسرار الحرب اللبنانية.

روح تتبعني دائمًا.

طقوس الزواج الكاثوليكي.

خرافة العصر الحديث.

أسطورة الزواج من الآلهة.

فظائع الحرب في دارفور.

الفضائح تطارد مايكل جاكسون.

ملاحظة اخيرة :

هناك الكثير من الكتاب الذين يجيدون صياغة عناوين نصوصهم بشكل ممتاز لدرجة أن هناك فارقًا واسعًا وواضحا ما بين نصوصهم وتلك العناوين، إذ يتجلى إبداعهم في صنع العناوين المميزة فقط، على عكس نصوصهم التي تتصف بالبؤس والخواء. وهناك ممن يتصفون بقدرهم على صنع نصوص مميزة ذات عناوين بائسة، وهو ما يجعلها بعيدة عن اهتمام القراء والنقاد وعنايتهم إلا بعد التنويه عنها بسبب صدفة ما.

وأخيرًا، يجب أن تتجلى قدرة الكاتب في إبداع النص وعنوانه بشكل متوازن، وليس على حساب أحد الطرفين. كما أن هناك دراسات وبحوثًا مختلفة بهذا الشأن يمكن دراستها بعيدا عن هذا الإيجاز.

فن كتابة المقدمة:

تعد المقدمة العتبة الثانية لولوج الموضوع، ولهـذا يجب أن تؤثث بشكل مميز وجذاب ومشوق لتدفع القـارئ في عمليـة الولوج هذه" فالقاعدة الجميلة في كتابة المقالـة هـي أن تبـدأ بضجة قوية مدوية وتترك ما يلي الفقرة الافتتاحية الأولى سلسلة من الفقرات اقل عنفا. والعكس يجب أن يكون بالنسبة لكتاب القصة، حيث تأتي ضربتك القوية على الصفحة الأخـيرة، وان أمكنك،ففي السطر الأخير منها"(١٨)، كما أن ضآلة محتواهـا أو ضعف بنائها أو برودة إيقاعها تجعل القارئ ينسحب عـن إكمال الموضوع برمته، فالمواضيع الناجحة تمتلـك مقـدمات ناجحة بالضرورة. فهي المعبر والجسر الـرئيس الـذي ينتقـل القارئ بواسطته إلى متن الموضوع وجوهره.

التقديم والمقدمة :

المقدمة هي تلك السطور أو الصفحات التي يكتبها الكاتب بنفسه لموضوعه أو لكتاب من تأليفه، أما التقديم فهو المقدمة التي يكتبها كاتب لكاتب آخر، ويستخدم هذا الأسلوب غالبـا في

١٨ - صحافة بلا دموع - ص ٦٥.

الكتب فقط، ويسعى أصحاب الكتب من خلال ذلك إلى الحصول على دعم معنوي وإعلامي وترويجي لكتبهم. فرواية يكتب مقدمتها نجيب محفوظ ستلقى رواجًا أوسع من تلك التي لا يقدمها أحد. ومن تلك التي يقدمها روائي اقل شهرة وباعًا من نجيب محفوظ. والشائع أن الكتاب الكبار لا يكتبون مقدمات لكتب غيرهم إلا بعد اقتناعهم بأساليب ها ومضامينها. ولهذا يدافعون في التقديم عن سلوكهم هذا عن طريق شرح المسوغات التي دفعتهم لذلك. وقد يكون من ضمنها تشجيع الكاتب بشكل خاص وبقية الكتاب بشكل عام على الإبداع في الكتابة. وقد يكتب الكتاب الكبار مقدمات لكتب غيرهم للتخلص من إلحاح صاحب الكتاب أو بعض أصدقائه أو رضوخًا عند توسلاته المستمرة. وللتقديم شروطه ووظائفه. فمن شروطه أن يستحق الكتاب التقديم نتيجة لما فيه من إبداع. وان يكون موضوع الكتاب من تخصص المقدم فليس من المعقول أن يكتب أستاذ في الاقتصاد تقديمًا لمجموعة قصص قصيرة، ألا إذا كان هذا الأستاذ معروفًا باهتمامه بهذا الجنس الأدبي. وأن يتناسب حجم المقدمة مع حجم الكتاب، ويفضل أن تكون قصيرة وموجزة وعالية الكثافة وان تهيئ ذهن القارئ وتشوقه لقراءة الكتاب. ويشبه التقديم مقدمة المترجم التي يكتبها لكتاب قام بترجمته إلا أن مقدمة المترجم قد تتضمن نبذة تاريخية

عن حياة الكاتب وأعماله الإبداعية والظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي زامنها، والأسباب التي دعت المترجم لترجمة الكتاب. ويتضمن الكتاب بشكل عام مقدمة واحدة أو أكثر، إذ يفضل البعض كتابة مقدمة لكل طبعة جديدة من طبعات كتابهم بجانب المقدمات المنشورة سابقا.

الفروقات الجوهرية بين مختلف المقدمات :

تعود أبرز الفروقات الجوهرية إلى سؤال واحد فقط مفاده: هل يجوز حذف المقدمة من دون أن تؤثر على مضمون الموضوع أو الكتاب؟

تحدد الإجابة على هذا السؤال مدى ارتباط المقدمة بناء ودلالة بالموضوع. فحذف المقدمة في المقالات والفنون الصحفية الأخرى والبحوث والدراسات لاسيما القصيرة منها يلحق أذى جسيمًا بالمضامين الواردة فيها. فمقدمة الخبر، على سبيل المثال، هي خلاصته وزبدته لأنها تجيب على الأسئلة الخمسة الأساسية لوصف الحدث :

ماذا ؟ **(قتل**

متى ؟ **أمس**

من ؟ **عشرة أشخاص وأصيب ضعفهم**

أين ؟ **في شمال الهند**

كيف ؟ **لدى خروج قطار عن سكته الحديدية)**

وهذا يعني عدم جواز حذفها مطلقًا. فالمقدمة عندما تكون قابلة للحذف يمكن إطالتها أو إيجازها أو كتابتها بأي أسلوب كان. أما إذا كانت مرتبطة ارتباطًا عضويًا بالموضوع فإن شروط الموضوع ومحدداته وتوجهاته تحكمها بالضرورة، وتتلخص وظائف المقدمة بالآتي:

* أنها تشد القارئ وتجذبه لقراءة بقية الموضوع.

* أنها تهيئ ذهن القارئ، بما تقدمه من تمهيد، لتجعله أكثر استعدادًا لتقبل المعلومات والآراء والحقائق التي سيطرحها الكاتب في موضوعه لاحقًا. وتختلف المقدمات من جانب آخر بحجمها (عدد كلماتها) إذ أن النصوص المكتوبة لغرض النشر في الصحف والمجلات لا تحتمل المقدمات الطويلة نسبيًا. فمن شروطها أن تكون موجزة بسبب ضيق مساحات النشر وطبيعة القراء التي تميل إلى كل ما هو قصير وموجز. أما البحوث والدراسات فإنها قادرة على استيعاب المقدمات الطويلة نظرًا لطبيعة بنائها وطبيعة قرائها في تقصي أدق المعلومات والتفاصيل.

فحوى المقدمة :

قد تتحدث المقدمة عن كل أو بعض الفقرات الآتية :

* أسباب الكتابة عن الموضوع.

* أهمية الموضوع والمواضيع المرتبطة به.

* البعد التاريخي للموضوع.

* تداعياته ومؤثراته الراهنة والمستقبلية.

* مجموعة من آراء الباحثين والمتخصصين في الموضوع نفسه.

* الرأي الشخصي للكاتب بالموضوع.

* الدراسات والبحوث التي تناولت الموضوع قديما وحديثا ورأي الكاتب فيها.

* كيفية اكتشاف الكاتب للموضوع سواء عن طريق الخبرة أو الدراسة أو التجربة.

* معلومات وإحصاءات وأرقام تدعم رأي الكاتب وآراء الباحثين.

* تفاصيل عن الخطة الخاصة بتناول الموضوع سواء على شكل فصول وأبواب أو مباحث ومطالب أو فقرات متسلسلة.

أساليب صياغة المقدمات :

هناك أساليب عديدة لصياغة المقدمات أبرزها :

الأسلوب التاريخي :

وفيه يعود الكاتب للتاريخ القريب أو البعيد ليسرد في مقدمته البدايات الأولى لموضوعه وحسب ما متوفر لديه من معلومات. فهناك من يبدأ من العصور الأولى للتاريخ ومنهم من يبدأ من أي عصر يشاؤه تبعًا لمصادر معلوماته وطبيعة الموضوع وحجمه (عدد كلماته). ويشترط في هذا الأسلوب أن يتناول الكاتب تطور موضوعه بشكل متوازن (كما ونوعا) ووفق التسلسل الزمني للعصور والمراحل التاريخية فلا يغفل مرحلة زمنية من دون الكتابة عنها إلا في حالة وجود أسباب موجبة عليه شرحها. وأن يمهد الكاتب و بشكل تلقائي ومن دون قسر أو إقحام أو تكلف للدخول في صلب الموضوع من خلال ذلك. وأن لا يخلو أسلوبه من ذكر الأحداث والوقائع المثيرة، لاسيما تلك التي لم يطلع عليها القارئ بشكل تام أو واضح، وبما يدعم آراءه وفروضه اللاحقة.

الأسلوب المعجمي :

يتقصى الكاتب في المعاجم اللغوية أصول معنى ودلالات المفاهيم الأساسية في موضوعه مبينًا جذورها اللغوية واشتقاقاتها

المختلفة وكيف تحولت من معانيها القديمة إلى معانيها ومدلولاتها الحديثة عبر الزمن. وقد يستشهد بآيات من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة و بأبيات شعر وأقوال وحكم ومواعظ لإثبات ما يبغي الوصول إليه، لاسيما في كون الظاهرة أو المشكلة قديمة ولها جذورها الضاربة في عمق التاريخ. وعلى الرغم من أن هذا الأسلوب له علاقة واضحة بالأسلوب التاريخي السابق إلا أنه يتميز عنه في أنه يبحث في اللغة وتطورها أكثر من بحثه في وقائع التاريخ. ويحتاج الباحث لكتابة هذه المقدمة للكثير من المعاجم لكي تكون مقدمته أكثر دقة ورصانة وموضوعية.

الأسلوب القصصي :

يعمد الكاتب هنا إلى استخدام الفن الحكائي في كتابة مقدمة موضوعه، فيقصُّ على القارئ قصة مناسبة لها علاقة وثيقة بالموضوع المكتوب. وقد تتحدث القصة عن الكاتب نفسه بوصفه بطلاً لها، أو عن الظروف الغريبة التي رافقت كتابته للموضوع، أو تلك التي دفعته لكتابته. ويتوسل الكاتب من خلال ذلك إلى تشويق القارئ لقراءة الموضوع، لاسيما إذا كانت القصة مثيرة وفيها من الطرافة والغرابة ما يحقق ذلك.

ولا يشترط في القصة أن تكون حقيقية مائة بالمائة، إذ يمكن للكاتب الاعتماد على خياله في كتابة القصة المناسبة وبما يجعلها تؤدي وظيفتها على أحسن الوجوه. وقد يلجأ الكاتب إلى الخيال العلمي أو إلى أعماق التاريخ وحوادثه لكي يصوغ منها ما يتطلب ذلك. وقد تكون القصة واقعية جدا عندما يذكر الكاتب أشخاصًا وأحداثًا و أماكن معروفة للقارئ تدور فيها أحداث قصته.

الأسلوب العلمي :

تتضمن هذه المقدمة الكثير من الأرقام والحقائق والمعلومات والوثائق ، فضلاً عن الإحصاءات والبيانات الصادرة عن جهات رسمية سواء كانت محلية أو إقليمية أو دولية. وكذلك آراء العلماء والمختصين بالموضوع من القدامى والجدد لكي يشعر القارئ بأهمية موضوعه مركزًا على جذوره التاريخية ووقائعه الراهنة وتداعياته المستقبلية. ويمكن للكاتب تحقيق شوط الإثارة والجذب والتشويق في مقدمته هذه من خلال سرد الحقائق العلمية التي لا يعرفها عامة الجمهور والتركيز على الغريب والطريف منها، إذ أن هناك الكثير من الحقائق التي تعد ضربًا من الخيال، وهناك الكثير من الوقائع والأحداث التي قد يعدها بعض

الناس مجرد أوهام وخرافات. وتستند المقدمة على الأرقام في تحقيق عوامل جذب القارئ ولفت انتباهه لإكمال قراءة الموضوع. ولا يشترط في كتابة هذه المقدمة أن تكون مكتوبة لموضوع علمي بحت، بل قد تكتب لتحقيق صحفي طريف أو لعمود صحفي أو لأي جنس إبداعي آخر.

الأسلوب التساؤلي :

تكتب المقدمة بهذا الأسلوب على شكل تساؤلات متلاحقة تثير فضول القارئ وتجذبه لقراءة الموضوع على أمل أن يجد لتلك الأسئلة أجوبة في ثنايا الموضوع، وتتركز الإثارة والتشويق في مضمون الأسئلة مثال ذلك :

من قتل أسمهان؟ هل قتلتها عائلتها المحافظة ؟ أم أحد المعجبين ؟ أم المخابرات البريطانية ؟ كيف تلقى شقيقها فريد الأطرش الخبر؟ وأين دفنت؟ ومن شيع جثمانها إلى مثواه الأخير؟ ماذا قال محمد التابعي في كتابه (أسمهان تروي قصة حياتها)؟ ولماذا تم التعتيم على أسماء الأشخاص المرافقين لها يوم الحادث؟ وهل لذلك علاقة بالمطربات المنافسات لها؟ هل للقمار والخمر علاقة بموت أسمهان ؟ ولماذا نجا السائق فقط من الغرق ؟

وما إلى ذلك من الأسئلة التي تجعل القارئ في أشد الشوق لقراءة تفاصيل الموضوع.

الأسلوب الأدبي :

وهو الأسلوب الذي تصاغ بـــه المقدمـــة باعتمــاد الآراء والمشاعر الذاتية فضلا عما يرافقها من انطباعـــات وأحاســـيس وهواجس وخواطر وخيالات تقترب مـــن الـــشعر والخيـــال والرومانسية عن طريق استخدام شتى الأساليب البلاغية للسيطرة على عواطف القارئ وخلجات نفسه وفضاءات وجدانه لدفعه لإكمال قراءة الموضوع. وقد تضم المقدمة أشعارًا جميلة وحكمًا بليغة ونوادر مليحة تستحوذ على اهتمـــام القـــارئ، وتجذبـــه للتواصل مع الموضوع.

وأساليب أخرى :

تحدثنا عن أبرز أساليب صياغة المقدمات وهناك أســـاليب أخرى لا داعي لذكرها بعد أن اكتفينا بأهمها. كما أن ذكـــر هذه الأساليب لا يعني قطعًا التقيد بها حرفيًا وإنمـــا ذكرناهـــا للتوضيح فقط وبما يتعلق بأهداف الكتاب، وفضلاً عن ذلك فان هناك الكثير من الكتاب الذين يستخدمون كل هذه الأســـاليب معًا أو بعضها في صياغة مقدمات مواضيعهم. إذ لـــيس هنـــاك قوانين تلزم الكاتب باستخدام هـــذا الأســـلوب دون غـــيره. فالمسألة في حد ذاتها راجعة لذوق الكاتب وفيما يـــراه مناســـبا

لكتابة مقدمة موضوعه، فهو وحده يتحمل مسؤولية إقبال القراء على كتاباته أوعزوفهم عنها.

ما يجب تذكره دائما !!

يجب أن تكون المقدمة مهما كان حجمها و سواء كانـــت منفصلة عضويًا عن الموضوع أم لا ذات علاقات وثيقة بـــروح الموضوع ومحتواه، ودالة وممهدة إليه، وان تهيئ القـــارئ ذهنيًـــا وعلميًا ونفسيًا للانكباب عليه وقراءته حتى النهاية، وأن تتوافق المفاهيم والمصطلحات والاقتباسات إن وجدت فيها مع جـــوهر الموضوع وخلاصته. بمعنى آخر، لا يمكن كتابة مقدمـــة مليئـــة بالتعابير والمفاهيم الاقتصادية لموضوع يتحدث عن الموســـيقى والغناء إلا في حالة وجود مسوغات علمية ودوافع ملزمة لذلك تدخل في جوهر الموضوع كجزء حيوي منه.

كما أن المقدمة تخضع لمحددات الجنس الإبـــداعي الـــذي يكتب فيه الموضوع، فكتابة مقدمة لمقالة نقدية تختلف بالضرورة عن كتابة مقدمة لتقرير صحفي. وتختلف كذلك عن مقدمـــة لموضوع فلسفي. وأفضل طريقة لفهم الأساليب التي تكتب بهـــا

المقدمات هي الاطلاع على مختلف المواضيع المكتوبة والقيام بالإجراءات الآتية:

١ – تحديد بداية ونهاية مقدمة الموضوع.

٢ – مقارنة حجمها بالحجم الكلي للموضوع.

٣ – معرفة الأسلوب الذي كتبت فيه المقدمة.

٤ – معرفة مدى أهميتها، أي هل هي قابلة للحذف أم لا ؟

٥ معرفة مدى قيامها بتشويق القارئ لمتابعة القراءة.

٦ – وأخيرًا هل كان الكاتب موفقًا في صياغة مقدمته من جميع النواحي أم لا؟

الدور الآخر للمقدمة :

تلعب المقدمة دورًا مهما من حيث كونها بداية ليس للموضوع وحسب، وإنما للمقدمة نفسها ولصلب الموضوع والخاتمة. بمعنى آخر، واستنادًا إلى مقولة أن النص يتألف في معظم الأحوال من مقدمة ووسط وخاتمة، فان المقدمة نفسها تتألف من مقدمة ووسط وخاتمة. وهذا ينطبق حتى على الخاتمة التي ستتألف هي الأخرى من مقدمة ووسط وخاتمة. ويمكن فهم

بناء النص بشكله التقليدي وفقا لهذه القاعدة. انظر إلى الشكل الآتي: (شكل رقم — ٤ — الدور الآخر للمقدمة).



شكل رقم (4) دور المقدمة

كتابة فحوى الموضوع :

بعد أن مهدت المقدمة للقارئ الدخول في صلب الموضـــوع وجوهره، سنعالج في هذا الفصل ما يتعلق بفحـــوى الموضـــوع نفسه.

ما فحوى الموضوع ؟

الفحوى بشكل عام رأي أو وجهة نظر في ظاهرة أو مشكلة أو قضية أو مسألة. ولهذا السبب يمكن تقسيم فحوى الموضوع على قسمين أساسيين هما :المشكلة والرأي.

١ – معايير اختيار المشكلة :

أن تهم أكبر عدد من الجمهور.

أن يكون طرحها من زاوية نظر جديدة. (يرجى العودة إلى رأي حاجي خليفة في التأليف في الفصل الثالث).

أن يكون لدينا عنها معلومات كافية ويفـــضل أن تكـــون المعلومات جديدة أيضًا.

أن يتم طرح المشكلة بدقة ووضوح من خلال الإطار المعرفي الذي تقع في حدوده بشكل أساسي كالسياسة أو الاقتـــصاد أو الاجتم ع أو الفلسفة. ..الخ.

لا ضير في طرح المشكلة في أكثر من إطار معرفي إذا تطلب الأمر ذلك.

يحبذ الإشارة إلى تاريخ المشكلة وأهميتها وتداعياتها في الحاضر والمستقبل إن كان لها تاريخ وتداعيات.

أن يحاط القارئ علمًا بأبرز سمات المشكلة وتأثيرها في الماضي والحاضر والمستقبل. .

٢ – *معايير إبداء الرأي ووضع الحلول.*

أن يبرر الكاتب بشكل مختصر أسباب تناوله المشكلة.

أن يستند رأيه على حقائق وثوابت ومعلومات بالإضافة إلى آراء المعنيين والمتخصصين في الإطار المعرفي للمشكلة، وبقية الأطر المتعلقة بها.

أن يستلهم التجارب السابقة في علاج المشكلة سواء كانت هذه التجارب شخصية أو محلية أو إقليمية أو دولية.

. أن يكون الرأي مدعومًا بالأدلة الموضوعية والحجج الواقعية والبراهين الملموسة.

أن يكون الرأي متضمنًا معلومات وأرقامًا وبيانات تدعم ما يذهب إليه.

أن يتضمن، في حال عدم تقديمه الحلول المطلوبة، دعوة لوضع الحلول.

طرق عرض الأفكار :

تشبه طريقة عرض وتقديم الأفكار والآراء والمعلومات الواردة في الموضوع طريقة عرض وتقديم الأطعمة من وجوه عديدة، إذ أن أغلب أطباق الوجبات الشهية تمر بعمليات أعداد عديدة قبل تقديمها بشكل مغر للمستهلك. وتختلف طرق عرض الأفكار بين كاتب وآخر لدرجة لا يمكن فيها الحديث عن طريقة محددة لذلك. وأبرز هذه العمليات هي :

عمليات إغناء الفحوى بالمعلومات وتقديمها بشكل مشوق وجذاب : من خلال بث المعلومات التي تم جمعها في تضاعيف المقدمة والفحوى والخاتمة بشكل متوازن ومتجانس ووفق سياقات لغوية وفكرية مدروسة ومخطط لها سلفًا وبشكل يقنع القارئ بصحة الأفكار والآراء المطروحة في الموضوع. ذلك أن الكاتب يسعى أولاً لإقناع القارئ بالمضامين الواردة في الموضوع، وهو في هذا يشبه الخطيب في محاولته إقناع المستمعين إليه عبر ما يلقي عليهم من حكم ومواعظ وإرشادات. فتراه

يلجأ إلى القصص القصيرة والنوادر والحكم والأمثال المعروفة لإيصال رسالته. وكلما زاد اقتناع المستمع بحديثه ازداد تواصله مع الحديث لدرجة ينعدم إحساس بعض المستمعين بالمكان والزمان نتيجة لتأثرهم بمضامين الحديث وفحواه. وللأسف ليست هناك طريقة أو أسلوب محدد للإقناع لتناول تفاصيله ونبين عناصره وسياقاته الأساسية. فالطرق والأساليب تتنوع وتتعدد بتنوع وتعدد الكتاب. فهي مسألة تتعلق بأسلوب وثقافة كل واحد منهم على حدة. إذ أن لكل شخص مهما كان بسيطا ومهما كانت درجة ثقافته أسلوبه الخاص في الإقناع. ومع هذا يمكن تلمس أسس وجذور الإقناع في فن المفاوضات. فقبل المفاوضات يدرس المفاوض المتمرس المشكلة من جميع الوجوه ويحدد خيارات وأولويات تراتبية للحصول على مكاسب محددة سلفا، ثم يضع الخطط اللازمة لتحقيق أهدافه عبر إقناع الطرف الآخر بما يملكه من حجج وأدلة. وهذا ما على الكاتب فعله بالضبط. أي الاستحواذ على اهتمام القارئ عبر الإقناع.

<u>**الوضوح**</u> : تحدثنا كثيرًا عن الوضوح في أماكن أخرى من هذا الكتاب لأهميته يقول الكاتب وليم ساروريان في حديث له عن

أشياء الكتابة : من هذه الأشياء التي أقولها لك أنها مهمة للغاية. أولاً: الوضوح. ثم السهولة أو التناسق لتجعل كتابتك تسير من دون تكلف وبسهولة ولتقع الكلمات في مكانها الطبيعي. " اقرأ ما كتبت بصوت مسموع وأنت تكتب لتكون قــادرا علـى معرفة ما إذا كانت إحدى الجمل أو التي لا إنا ولا غيري مـن الكتاب يعنيها، ولكن على الرغم من ذلك ستكون في مــأزق عندما تستعمل كلمة أو عبارة أو فكرة استعملها كاتب آخـر بطريقة خاصة "(١٩).

<u>تحقيق التوازن في نشر المعلومات بين سطور الموضوع</u> : علينـا هنا تذكر لعبة الورق (البوكر)، فاللاعب في هذه اللعبة يقدم ويؤخر ويخفي هذه الورقة أو تلك لتحقيق قصد أو مقاصد عدة رسمها في ذهنه للفوز في اللعب. في الكتابة تسمى هذه العمليات بلعبة الشد والارتخاء للتخلص من الملل والفتور الذي قد يصيب القارئ في أثناء متابعته للموضوع وللاقتـصاد في المعلومـات والآراء والأفكار ذات الأهمية الكبرى. إذ لا يعقل تقديم كـل المعلومات المهمة في بداية الموضوع وترك مـساحاته الأخـرى خالية منها. بل يجب توزيعها بما يتناسب مع حجم الموضـوع

١٩ - كبار الكتاب كيف يكتبون – ص١٧٧.

ومع تصاعد درجة الإقناع. وتختلف هذه العملية بين كاتب وآخر، وبين موضوع وآخر أيضًا لدرجة تختلف فيها حتى بالنسبة للكاتب نفسه في عملية معالجته للمواضيع المختلفة.

تقديم الأهم ثم المهم ثم متوسط الأهمية ثم قليل الأهمية أو العكس. يرى بعض الكتاب أن عليهم شد القارئ ولفت انتباهه منذ السطر الأول للمقدمة ، وهذا ما يجعله يعكف على قراءة الموضوع حتى نهايته. ويشبه هذا الرأي رأي صانعي أفلام (الأكشن) الذين يعرضون حدثًا مثيرًا في الدقائق الأولى من الفيلم، ليبقى المشاهد مشدودا إلى الشاشة بانتظار ما تسفر عنه المشاهد اللاحقة بصدد الحدث. ويرى آخرون العكس فيقدمون المعلومات المهمة شيئا فشيئا وبشكل تصاعدي، فيتصاعد اهتمام القارئ بالموضوع فيكمل قراءته حتى النهاية. ولا يرى طرف ثالث أهمية لهذين الرأيين، إذ أن لكل موضوع سمات ومحددات تفرض اتباع هذا الأسلوب أو ذاك. ويقع تحت هذا الخيار معالجة المشكلة بدءا من الجزء أو الأجزاء باتجاه الكل أو العكس.

العناية بالسياقات التقليدية : إذ غالبا ما ترد عبارات متسلسلة على الكاتب صياغتها بالشكل التقليدي المتعارف عليه مهنيًا،

مثل: جامعة بغداد كلية الإعلام قسم الصحافة، أي الانتقال من العام باتجاه الخاص ثم الأخص. وقد يصح العكس، أي الانتقال من الأخص باتجاه الخاص ثم العام فنقول: قسم الصحافة في كلية الإعلام جامعة بغداد. ولكن لا يصح مطلقا تشويه العبارة كقولنا: كلية الإعلام جامعة بغداد قسم الصحافة. أو أية صياغات أخرى. وينطبق هذا على الكثير من العبارات مثل :

الدكتور علي حسن أستاذ التاريخ السياسي في كلية العلوم السياسية جامعة بغداد.

الرئيس التونسي زين العابدين بن علي.

وزير الصناعة الدكتور طارق عبد الله.

العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

وينطبق هذا على ذكر أسماء الأماكن والشخصيات والأزمنة.

العناية بالتفريع : أي تقسيم الموضوع على أقسام ، وتفريع الأقسام إلى فروع والفروع إلى نقاط (٢٠)، مثل :

تنقسم الأسماء العربية على:

أولاً: الأسماء المرفوعة وهي:

---

٢٠ - كيف تكتب بحثا او رسالة – الدكتور احمد شلبي – دار النهضة المصرية – القاهرة - ١٩٦٦ – ص ٩٠

ا – الفاعل.

ب – التابع للاسم المرفوع.

١ – النعت.

– النعت الحقيقي.

– النعت السببي.

٢ – العطف.

٣ – التوكيد.

٤ – البدل.

ج – نائب الفاعل.

د – المبتدأ.

هـ – الخبر.

الابتعاد عن التعميم والإطلاق: إذ لا يصح أن نقول: جميع الطلبة مجتهدون، أو جميعهم كسالى. والأفضل إن نقول:معظم الطلبة أو بعضهم أو أغلبهم أو الكثير منهم لكي تصبح أقوالنا وأحكامنا أكثر مصداقية. وينطبق هذا على الكثير من التوصيفات مثل :

وافق أغلب أعضاء البرلمان على. ....

يعتقد معظم الفلاسفة أن. .....

وأكد بعض المتظاهرين على. .....

ويعاني الكثير من العمال من. ....

التواضع : على الكاتب في معظم الأحوال أن يتصف بالتواضع وان يعرف قدر نفسه أولاً، فمن غير اللائق لكاتب مبتدئ أو غير معروف أن يكثر من كلمات معينة لا يحق إطلاقها إلا من قبل المختصين والمعنيين بشأن محدد مثل : (يجب - يتطلب - يستوجب - وعلى - وأننا نرفض وغيرها) كقولنا :

ويجب على الاتحاد الأوروبي أن يتصرف وفق ما تمليه الأعراف الدولية.

وعلى الحكومة أن تولي اهتماما مضاعفا بقضية العاطلين عن العمل.

وأننا نرفض هذه الإجراءات جملة وتفصيلا.

إذ يمكن التعبير عن ذلك بما يتوافق ومنزلة الكاتب، كقولنا:

ويمكن للاتحاد الأوروبي أن يتصرف وفق ما تمليه الأعراف الدولية.

وستجد الحكومة فرصا عديدة لرعاية العاطلين عن العمل.

الابتعاد عن الحماسة: يقع بعض الكتاب أسرى الحماسة الخطابية في أثناء كتابتهم لموضوع فيكثرون من استخدام

عبارات الخطب السياسية والدينية مثل (أيها الإخوة – أعزائـــي القراء – أيها المثقفون – أيها المسلمون، وغيرها). فمثل هـــذه العبارات تقال في أثناء الخطب في الجماهير وجها لوجه ولا تقال في الكتابات، لاسيما في عصرنا الراهن.

الكتابة بروح العصر : والابتعاد عن التعابير القديمة مثل (أكل عليه الدهر وشرب – بين الفينة والفينة – ودون ذلك خـــرط القتاد – ولا مندوحة في ذلك – بلغ السيل الزبى – ما لا تحمد عقباه – يشار له بالبنان – شروى نقير – فقلبوا له ظهر المجن – وهكذا دواليك، وغيرها). فالكاتب يجب أن يعبر عن زمنـــه وروح عصره ما استطاع إلى ذلك سبيلا.

عدم الإكثار من الحكم والمواعظ والأمثال: فالإكثار منها يثقل الموضوع ويرهق القارئ، لاسيما إذا كانت معروفة ومعـــادة. ولهذا يجب استخدامها بحذر ولطف وان تكون غـــير متداولـــة كثيرا.

حرارة الإيمان بالأفكار: يجب أن يكون الكاتب أول المـــؤمنين والمتحمسين لما في موضوعه من آراء وأفكار لكي يستطيع إقناع القارئ بوجهة نظره. فمن المستحيل أن تقنع شخصا ما بأفكار أنت غير مقتنع بها أصلاً. وفي هذا يقول أفلاطـــون: إذا وافـــق

الكلام نية المتكلم حرك نية السامع. ويصدق هــذا كــثيرا في الكتابة " أن التخلص من خشونة الأسلوب وضــعف البنــاء الروائي والمثالية الأدبية أسهل بكثير من التخلص مــن الــبرودة الروحية "(٢١).

كتابة الخاتمة:

لكل شيء خاتمة، ويقال ختامها مسك، وهذا ما يجــب أن تكون عليه خاتمة الموضوع. ويشترط في الخاتمة أن تكون قصيرة وموجزة ومكثفة وجذابة كالمقدمة، وان يتناسب حجمها مــع حجم الموضوع، وينطبق عليها بشكل عام شروط ومواصفات المقدمة وان تترك أثرًا لا ينسى في ذاكرة القارئ مــن خــلال التقاطة مهمة أو مفارقة ذكية أو لمحة مشاكسة أو الخروج بنهاية لم تكنْ في حسبان القارئ. وغالبا ما تتكون الخاتمة من بعــض هذه الفقرات أو جميعها:

رأي الكاتب الشخصي أو مقترحاته أو حلوله أو توصياته أو دعوته للنظر في المشكلة وأبعادها.

ملخص سريع ومكثف لجوهر الموضوع وأبعاده.

دعوة لمناقشة الموضوع من قبل المعنيين به نظرا لأهميته.

٢١- دراسات معاصرة - ص١٩.

مقارنة المشكلة بمشكلة محلية أو إقليمية أو دولية مشابهة.

وقد تكون الخاتمة متصلة مع الموضوع في المواضيع القصيرة ومنفصلة وواضحة في المواضيع الطويلة لاسيما البحوث والدراسات. وقد تكتب تحت احد هذه المسميات (الخلاصة - المعالجات والتوصيات - كلمة أخيرة - ختاما - وأخيرًا، وغيرها).

ثالثًا: محطة المراجعة:

ويتم في هذه المحطة مراجعة مسودة الموضوع وفقا للخطوات الآتية :

يقوم الكاتب بنفسه من التأكد من عدم وجود أية أخطاء إملائية أو معنوية أو مفاهيمية أو تاريخية أو أية أخطاء أخرى. وكذلك التأكد من العنوان والعناوين الفرعية إن وجدت ومن صحة التفريع والتأكد من مطابقة المعلومات الواردة في الموضوع مع مصادر المعلومات ومن الهوامش التي تشير إلى المصادر التي نقلت منها تلك المعلومات. كما يتسنى للكاتب في هذه المحطة قياس مدى قوة موضوعه وجديته، إذ أن فكرة الموضوع شيء وكتابته شيء آخر. وفي ذلك يقول كالدويل (إن سلة مهملاتي ملأى في نهاية اليوم ، إني أعيد كتابات قصصي ورواياتي كثيرا...عشر مرات إلى اثنتي عشر مرة)[٢٢]. ومما يذكره الدكتور علي شلش في مقالته المنوه عنها في الصفحة (٤) من هذا الكتاب، أن الكاتبة الأميركية مرجريت ميتشل أعادت الفصل الأول من روايتها (ذهب مع الريح) سبعين مرة قبل أن تستقر على شكلها النهائي. وان أفلاطون كتب الجملة الأولى

٢٢- سمها تجربة - ص ٣١٥.

من كتابه (الجمهورية) خمسين مرة قبل إن يستقر على شـــكلها ومعناها.

كما أن"عزرا باوند تبرع بمراجعة نصوص همنغواي.. القلـــم الأحمر يخط دون شفقة... باوند كان يشطب الأفعـــال. قـــال للصحفي الشاب (إنك تملك أسلوبًا جميلاً.. لكن عليك بـــذل جهد مضاعف كي يصبح أسلوبك أكثر رشاقة.. اتـــرك كـــل الألفاظ المدوية وحاول إن تصف الأشياء ببساطة أشد)"(٢٣).

ويفضل أن يعرض الكاتب موضوعه علـــى المعنـــيين وذوي الاختصاص من أصدقائه لتقويمه وتصويب أخطائه إن وجـــدت قبل دفعه للنشر. إذ يمكن معالجة الأخطاء بسهولة عند اكتشافها مبكرا فيما سيصعب تصحيحها بعد النشر، فضلا عن إن نـــشر الموضوع وهو يحمل أخطاء عدة غالبا ما يلحـــق أذى جـــسيما بالسمعة والمصداقية العلمية والثقافية والمهنية للكاتـــب. ولهـــذا يجب التروي كثيرًا قبل دفع الموضوع للنشر.

رابعًا – محطة النشر:

"إن مسألة رواج نتاجاتنا وكتبنا هي مسألة تتصل بالقـــدرة، الشرائية للجماهير التي تصدر هذه الكتب من اجلها وتتوجـــه

٢٣ - في تجربة الكتابة – ص ١٣.

إليها" (٢٤). كما أن للكتابة سوقها الذي يهيمن عليه مبدأ العرض والطلب، إذ أن هناك مواضيع سريعة الرواج وأخرى كاسدة، وهناك محددات كثيرة توجه عملية نشر الموضوع منها:

ا- هدف الكاتب من النشر:

فالكثير من الكتاب لا يهمه سوى رؤية اسمه منشورًا في جريدة أو مجلة أو موقع الكتروني. وآخرون يهمهم إضافة إلى ذلك مبلغ المكافأة الذي سيحصلون عليه جراء نشر مواضيعهم. والبعض الآخر من الكتاب لا ينشر في وسائل نشر مخالفة لتوجهاتهم وايديولوجياتهم وعقائدهم حتى لو أغدقت تلك الوسائل عليهم الأموال الطائلة. فيما يبحث آخرون عن الشهرة والمال أينما كانت هذه الوسائل وكيفما توجهت.

ب – طبيعة الموضوع وتوجهه :

إذ أن لكل موضوع سوقه الذي يمكن ترويجه فيه. وتتشابه وسائل النشر مع الأسواق المحلية المتخصصة. فهذا سوق متخصص ببيع السجاد والمفروشات، وذاك سوق متخصص ببيع اللحوم والفواكه والخضر، وثالث لبيع الأثاث، ورابع لبيع الملابس الجاهزة بأنواعها. وعلى الكاتب أن يحدد منذ البداية وقبل الكتابة السوق الذي سيتوجه بموضوعه إليه.

---

٢٤ - دراسات معاصرة - ص ٨١.

ج – المساعدات الممكنة :

يمكن لصديق مخلص يعمل في إحدى وسائل النشر أن يساعدك على نشر مواضيعك الأولى بعد تشذيبها وتصحيحها، ولكنه لن يبقى يدعمك إلى الأبد لاسيما إذا بقيت أخطاؤك هي هي. فالعاملون في اغلب وسائل النشر لا يحبذون إقامة صلات مع كتاب مبتدئين لا يتعلمون بسرعة، ويفر المحررون بسرعة من أولئك الذين يدافعون عن أخطائهم كدفاعهم عن حياتهم متصورين أن ما كتبوه هو خلاصة الفلسفة وزبدة الحقيقة المطلقة. ولهذا على الكاتب أن يستمع برحابة صدر للتوجيهات والإرشادات التي يوجهها إليه العاملون في هذه الوسائل لأنهم يبوحون له بسر الإبداع في الكتابة على عكس أولئك الذين يتسلمون مواضيعه ثم لا ينشرونها ولا يقولون له شيئا. كما أن وجود صديق يقوم بتصحيح أخطاء الكاتب المختلفة لا يعني قطعًا الاعتماد عليه مدى الحياة.

د – قوة الموضوع :

إن الموضوع الجيد والمكتوب بحرفية عالية يفرض نفسه على الناشر والمحرر المخلص للثقافة والمعرفة من دون حاجته للتعرف على كاتبه. بل إن الكثير من وسائل النشر تختار مواضيع فتعيد نشرها لا لسبب إلا لكونها مهمة وجيدة ورصينة وتعالج

مشاكل جديدة وبالغة الحساسية. لهذا على الكاتب أن يـــدرك مبكرًا أن سلاحه ورصيده هو موهبته وإبداعه وأصالته وقدرتـــه على الاستيعاب وليس شيئاً آخر.

٥ – الصبر والمثابرة :

إن اغلب الكتاب الكبار لم يصبحوا على ما هم فيـــه مـــن الإبداع والشهرة بين ليلة وضحاها، وإنما وصلوا إلى هذه المترلة بفضل صبرهم ومثابرتهم وحرصهم على التعلم. فقـــد أعيـــدت القصص الأولى لأجاثا كريستي وهمنغواي وارسكين كالـــدويل وهي مذيلة باعتذار المحرر عن نشرها، بل لقد بقـــي كالـــدويل يراسل الصحف لسنوات حتى نشرت أول قصة له. وهذا مـــا على الكاتب المُجد أن يؤمن به بشكل أســـاس، إذ أن ســـوق النشر في غاية الزحام، ولكنها مع ذلك فيها متسع لكاتب يجيد التعامل مع الكلمة ويضعها في مكانها المناسب كشحنة إنـــسانية واعدة لا تلبث أن تصطف مع كلماته الأخرى لتشكل شـــحنة كهربائية قوية يمكنها إضاءة درب الإنـــسانية الـــوعر. إذ "أن إنسانًا يمتلك الإرادة في الكتابة يستطيع أن يجد دائمًا الفرصـــة، وأولئك الذين لا يميلون إلى البحث عن الفرصة.. لهم في العادة مصالح أخرى. سواء يعرفونها أو لا يعرفونها لأنها عزيزة جـــدا بالنسبة لهم "(٢٥).

٢٥- سمها تجربة - ص ٣٠٥.

خامسًا – رجع الصدى :

على الكاتب الجيد أن يتابع ردود الأفعال تجاه كتاباتــه أولا بأول من خلال ما يكتب بشأنها من ردود لاســيما في مواقــع الانترنيت لاتصاف هذه المواقع بالسرعة القصوى في النشر وفي تسلم الردود ونشرها. فالموضوع المثير غالبًا ما يحظى باهتمــام واسع من قبل الجمهور. كما يمكن للكاتب أن يستمع إلى آراء الكتاب من فئته وأمثاله في موضوعه المنشور إذا كانوا قد اطلعوا عليه، وعليه أن لا يجبرهم على فعل ذلك لأنها عادة غير محببــة وتثير النفور والاستهجان، إذ أن لكل إنسان متاعبه ومــشاكله الخاصة به. ويمكن تلمس رجع الصدى من خلال قيام الوســيلة بالاستمرار في نشر مواضيعه أو عزوفها عن ذلك. وبشكل عام لا يعد النشر المستمر دليلاً ساطعًا على نجاح الكاتب وإبداعــه مطلقًا، فالكثير من الكتاب الجيدين لا ينشرون أعمالهم الإبداعية باستمرار، فهم يفضلون نشر عمل إبداعي مهــم يــضاف إلى رصيدهم التاريخي بدلاً من نشر مواضيع عــدة هنــا وهنــاك، ولكن يمكن للكاتب تلمس رجع الصدى من خــلال احتفــاء الكتاب والمثقفين وذوي الشأن به واستماعهم وتقديرهم لرأيــه الشخصي في مسألة من المسائل.

جماليات الموضوع :

يكتسب الموضوع جماله من وجوه عدة أبرزها:

الجمال البصري :

يصبح الموضوع أكثر جمالاً فيما لو اعتني بأماكن وضع العناوين الفرعية وبعلامات الترقيم والتفريع، وإذا ما كان هناك تناظر وانسجام بين تقاطيعه المتفرعة وكان خطه أو طباعته مقبولة إن لم نقل جميلة. فالشكل الخارجي للموضوع يلعب دورًا مهما في جذب الناشر لتفحصه والاطلاع على محتواه، على عكس المواضيع التي تفتقد لهذه السمات على الرغم من احتمال احتوائها على مضامين مهمة. وغالبًا ما يعزف القراء عن متابعة مواضيع جادة بسبب ضعف تصميمها وإخراجها طباعيًا. وهي مهمة دار النشر أو الصحيفة أو المجلة التي عليها الاهتمام بذلك. ويعتني أغلب الكتاب والمؤلفين بنوعية الورق وتصميم الغلاف وطبيعة ألوانه وشكل حروف الطباعة وحجمها لان لها دورًا بارزًا في جذب القراء لكتبهم وإصداراتهم.

الجمال الموضوعي :

ويكتسب من خلال قيمة الموضوع وحدته وهدفه وطريقة عرضه للأفكار الواردة فيه. فكلما كان الموضوع يهم شرائح واسعة من القراء كثر الساعون للاطلاع عليه والعكس صحيح. فالإنسان ميَّال بطبيعته لكل ما يشابه ميوله وحاجاته ومفضلاته ورغباته وهواياته،ولكل ما يشبع فضوله وتلهفه للاطلاع والمعرفة. بل إن بعضهم لا يكف عن السؤال عن كتاب أو مقال يقع في إطار اهتمامه الشخصي لسنوات وسنوات حتى يحصل عليه، ولو تطلب الأمر الاستعانة بأصدقاء من خارج البلاد. وينبع الجمال الموضوعي من بساطة كلام الموضوع ووضوحه ودقة أحكامه وشدة إقناعه وسلاسة إيقاعه وطرافة مضامينه وعمق معالجاته وغريب التقاطاته وغير هذا كثير.

مختارات الكتاب:

لقد دعتنا أسباب كثيرة لاختيار هذه الكتابات كملحق للكتاب منها :

* أنها تعد تكملة لمضامينه وتساعد على إتمام فائدتـــه وتحقيـــق أهدافه.

* أن المواضيع المختارة تتصف بالجدة وتختلـــف في مـــضامينها وأساليب ها.

* أنها لكتاب عرب من بلدان عدة، وهو ما يلقي الضوء علـــى طبيعة الكتابة في الوقت الحاضر.

الفكر وصناعة الأنساق اللغوية :

علي حسن الفواز

لا شك أن اللغة لا تكتفي بذاتها، ولا تكتفي أن تكون أداة اتصال مجردة وخاضعة للنظام الإشاراتي الذي تشترك فيه أغلب الكائنات الحية، لأن اللغة هي أيضًا نظام من المفاهيم، وهذا النظام يملك قدرات استثنائية في بيان المعرفة والكشف عن الوجود الخارجي، والتعبير عن حضوره المعقول واللامعقول داخل مجالات ومستويات من الاستعارات والتي لا توجد في لغة الاكتفاء والاتصال، إذ ستكون اللغة هنا قد وضعت نفسها في نسق معرفي يحدد مدركاته في ضوء ما يقدمه العالم الموضوعي من قوانين! وفي إطار ما يستقبله الإنسان ويبثه من أفكار ودلالات كون الإنسان هو الكائن التفاعلي الوحيد، لأن المعاني هنا ليست صناعة لغوية مجردة، إذ أن اللغة في جوهرها كلمات فقط!!،ولكن المعاني صناعة إنسانية معقدة أي أنها تسبق وجود اللغة، ولعل ما قاله الجاحظ قديما بان المعاني مطروحة في الطريق يؤكد ما ذهبنا إليه، وهذا ما جعل الإنتاج اللغوي صعبًا ومركبًا لأنه يصنع للمعاني أنساقًا داخل اللغة ذاتها، وربما يتحول فيما بعد إلى خزان واسع ليس للمعاني

المكتشفة كما يقول (ميرلو بونتي) وإنما لاكتشاف العالم حيث تؤكد اللغة نفسها هنا بأنها نظام للتفكير. ...

وبهذا فان اللغة لا تحتفظ بمعان أبدية! حيث تكون هذه المعاني خاضعة لشروط التداول والسياق اللغوي وشروط البيئة اللغوية،ربما يمنحها المقدس تكوينًا أيقونيًا!! لكنها تحتاج إلى الاجتهاد والقراءة المعمقة والتأويل في إطار هذا التكوين، خاصة إذا عرفنا أن الكثير من (علمائنا) لا ينحازون إلى ثبات ظاهر النص لأنه حمّال أوجه كما يقول ابن عباس!! وإزاء ذلك تقوم اللغة بإعادة إنتاج أنساقها الحاضنة للمعاني المستحدثة..

ولعل من أخطر ما تواجهه اللغة اليوم هو تضخّم نظامها التوصيفي والمعرفي واتساع مداها التوليدي/ الاشتقاقي والاستعاري الذي وضع اللغة أمام ثورة بنيوية خطيرة فقدت إزاءها اللغة الكثير من مقدسها والكثير من نظامها الدلالي القديم،حيث أصبحت اللغة صنوًا للإنسان تشاركه وتتحرك بحراكه وتبادله الأفكار والمكتشفات والمعاني، تفقد نظامها التعبيري المباشر لتصبح حاملة لنظام شفري وسراني ملغز وغامض ويحتاج إلى لغات ثانوية/قواميس لفك ألغازه ومعانيه، وأحسبُ أن هذا التركيب اللغوي والتعدد الأنساقي (نص اللغة ونص القاموس) يجعل (صاحب اللغة) أمام شيء اسمه فكر

اللغة!! الذي يؤسس لمنظومة كاملة من المفاهيم التي تجعل اللغة أمام أنساق فاعلة ومتجددة، أي أنها ستكون أشبه باللغة الميتااتصالية والتي لا تكون لغة إبلاغ وإشباع بقدر ما تكون اقرب إلى مجال معرفي وعلمي، وهذان خاضعان إلى قوانين وإلى شروط وربما إلى نظام استعاري وكذلك إلى حدوس بلاغية وعرفانية تضع الشفرة اللغوية بمستوى النص / الصندوق/ السر/ التعويذة، فضلاً عن أن الفكر اللغوي يقترن بإعادة إنتاج العالم المروي لغويا!! أي إمكانية إخراج اللغة / المعاني من أنساقها القديمة واجتراح انساق جديدة لها تؤهل إنتاج معان ودلالات وتخليقات نصوصية تدخل في إعادة تفسير الكثير من إشكالات تاريخنا الثقافي والفقهي، واحسب أن هذا التخريج على أهميته كون كل النصوص هي مواد لغوية!! أسهم في إثارة أسئلة ملتبسة في التأويل والاجتهاد وإعادة قراءة النصوص استقطبت حولها المريدين والأتباع وصولا إلى حد القطعية والمجاهرة بالاختلاف والخروج عن الأمة بدءًا من العصر العباسي وإلى يومنا الحاضر.

إن الوعي بخصوصية اللغة على إنتاج الأنساق وليس المعاني يجعل الخطاب اللغوي بعيدا عن اللبس وقابلا للقراءة، لأن النسق خاضع لضرورات وأحكام موضوعية ومؤثرات مفاهيمية فاعلة في الزمن اللغوي والزمن السياسي والزمن التاريخي، ولكن

وللأسف فان اغلب دراساتنا الأكاديمية والفقهية وحتى في مجال التشريعات تجرد اللغة من هذه الخاصية التوليدية وتـضعها إزاء التاريخ بكل أزماته ومحنه ومعانيه المحددة، وهذا ما يجعل اللغـة/ النص مثارًا دائما للإشكالات والعصابات.

ومن الإشكالات الأخرى التي تواجه اللغة في مجالها التوليدي والصياغي هو التغريب الاشتقاقي الذي دأبت عليها الأدبيـات المعاصرة! والتي وضعت اللغة/ النص أمام عسرة في الفهم و التي تفترض وجود القارئ الفاضل أو ما يسميه المحدثون ب(القارئ العمدة) القادر على فك اشتباك النص الملتبس / الـنص غـير السياقي... إذ أن عودتنا إلى الحديث آنفا بان اللغة منتج انساق يؤكد أهمية البحث عن التقابلات الفاعلة بين الفكـر اللغـوي وبين النسق الحاضن للمعنى الملتبس، لأننا سنجد أن هذا النسق هو نسق تعويضي مهرّب من لغة أخرى إلى لغتنا وربما من اللغة ذاتها!! وبالتالي فانه يضع كاتبه أمام مستويات معقدة من التمثل والإنتاج، خاصة في المجال الاستعمالي الواسع للخطاب اللغـوي في الأدب السياسي والأدب الاقتصادي والأدب الفلـسفي!! ولاشك أن هذه الاستعمالات وضعت النسيج اللغـوي أمـام احتمالات متعددة وإمكانات أخرى في مجال تقريـب المعرفـة وفرض شروطها وبيان غاياتها، وفي توليد معارف ثانوية تـؤثر على صياغة الرسالة/ الخطاب وتقديم المشكلة والـسؤال علـى

أساس أنه جوهر معرفي، وأن الصناعة الاصطلاحية فيه تؤكد هذا الجوهر، لأننا وحسب ما يقوله (فيتجنشتاين) نصاب بالكثير من سوء الفهم في إدراك مشاكلنا المعرفية بسبب سوء إدراك ما تبثه اللغة.

إن اللغة في هذا الخصوص تصبح صناعة خطيرة ، وتصبح مشكلة في الآن نفسه، خاصة إذا أدركنا أن اللغة الأم لم تعد موجودة مع وجود اللغات الثانوية الشارحة والمفسرة والمؤولة، فضلاً عن وجود الأنساق التي تحتضن النوع الذاتوي من اللغة أو النوع العقائدي والحزبي، إذ لا يمكن أن تحتضن اللغة العامة القابلة للتحول، علمًا بأن الإنسان ذاته لا يستخدم إلاّ اللغات المتحولة، اللغة العائلية، اللغة المدرسية، اللغة الإعلامية وغيرها، وهذا الاستخدام يصبح أحيانًا استخدامًا قهريًا بسبب تعدد النكوصات عند الإنسان وعودة اللاوعي النافذ في وجدانه، إذ تصبح اللغة شرطا برغماتيًا في بيان الصلاحية وليس في الانبعاث على الإشباع، وكثيرًا ما عمد إلى هذه الطريقة بعض كتاب الرواية والقصة في أدبنا العراقي خاصة ذو النون أيوب وعبد الملك نوري وغائب طعمة فرمان وفؤاد التكرلي، والذين وضعوا اللغة السردية والحكواتية بين حديّ الفائدة والبيان وبين حدّ الإشباع الذي تشيعه اللغة المحكية،ربما ليقينهم أن اللغة الأدبية لم

تؤسس بعد أنساقها الخاصة ،لذا يلجئون إلى النسق التداولي للكشف عن جوهر النص المكتوب...

إن حاجتنا إلى الفكر اللغوي تشبه الحاجة إلى الفكر السياسي والفكر الفلسفي والنقدي، لان هذه الأفكار تتعامل مع مدونات ونصوص،وأظن أن المادة اللغوية أصبحت هي الأخرى مدونة ونصًا وهو ما يفترض وجود مفاهيم تشرعن قراءها في أنساقها النصية وفي سياق تحولها إلى معرفة أو لذة أو فكرة أو خطاب أو دعاء وشتيمة وغيرها.

٧- ٤ - ٢٠٠٧

جريدة الزمان

حرافيش نجيب محفوظ على مقهى قشتمر

"أحمد فضل شبلول"

اهتم نجيب محفوظ (١٩١١ـــ ٢٠٠٦) كثيرًا في أعماله الروائية بالأماكن الضيقة أو المحدودة التي تجمع عادة بين أكثر من صنف من الناس، هكذا كان في "ميرامار" الذي هو عبارة عن بنسيون (نزل) صغير الحجم في الإسكندرية، يجمع بين مجموعة من الناس (رجالاً ونساء) لكل واحد حكايته وماضية وخوفه وحزنه وتطلعاته المستقبلية، وهكذا كان في "ثرثرة فوق النيل" حيث العوامة التي تدور فيها أحداث الرواية بشخصياتها المتعددة البسيطة والمركبة، وهو يفعل الشيء نفسه في روايته "قشتمر".

وقشتمر هو ذلك المقهى الصغير في حي العباسية بالقاهرة الذي اكتشفه الأصدقاء الخمسة منذ حداثة سنهم، وكان هذا في العشرينيات من القرن العشرين. يقول الكاتب ص٢٨ "هكذا عرفنا قشتمر في أواخر عام ١٩٢٣ أو أوائل ١٩٢٤" وظلوا يلتقون عليه بصفة شبه يومية إلى أن احتفلوا عام ١٩٨٥ بعيد ميلاد صداقتهم السبعين في المقهى نفسه.

ولئن كانت رواية "يوم قتل الزعيم" مثلاً للرواية الصوتية أو رواية الشخصيات عند نجيب محفوظ، ورواية مثل "زقاق المدق" هي رواية المكان، فإن رواية "قشتمر" جمعت بين الاثنين معاً، بمعنى أنها رواية مكان ورواية شخصيات، فضلا عن أنها رواية زمان - كما سنرى - فالمكان هو "قشتمر" الشاهد على مرور الزمن والأحداث، بينما الشخصيات - من خلال الراوي - هي التي تتفاعل مع الزمن والمكان، أما الزمان- وهو سبعون عاما - فهو زمن الأحداث والعمر التقريبي للشخصيات الخمس التي لم يختف أحد منها سواء بالموت أو الهجرة حتى نهاية الرواية، (العمر الحقيقي لكل شخصية من الشخصيات الخمس هو خمسة وسبعون عاماً حتى تاريخ الاحتفال بعيد ميلاد الصداقة).

حوالي نصف قرن من الزمان تمر على قشتمر وجلسائها، يشهدون فيها على أحداث عصرهم العجيب الذي شهد ارتفاع أناس، وتقهقر أناس، وموت أناس، وميلاد أناس، وشهد قيام المظاهرات ضد الإنجليز، وإضرابات الطلبة والعمال، وتعاقب الحكومات بانتماءاتها المختلفة، وحريق القاهرة، وقيام ثورة ٢٣ يوليو/تموز ١٩٥٢، وجلاء الإنجليز، وتأميم قناة السويس، والعدوان الثلاثي على مصر، وقيام الوحدة بين مصر وسوريا، وقرارات التأميم، وحرب اليمن، وهزيمة ١٩٦٧، وحرب الاستنزاف، وموت جمال عبد الناصر، وتولي أنور السادات

الحكم، وانتصار ١٩٧٣ واتفاقيات وقف إطلاق النار، والانفتاح الاقتصادي، وعودة الأحزاب، وزيارة السادات لإسرائيل، واتفاقية كامب ديفيد، ومقتل السادات وتولي حسني مبارك الحكم.

كل هذه الأحداث تمر على البلد وأصدقاء قشتمر الخمسة يزدادون حباً ومودة لبعضهم البعض (والمودة التي بينهم صافية لا تشوبها شائبة) والدليل على ذلك سبعون عاما من الصداقة (تسير الأيام بلا توقف لا تعترف بهدنة أو استراحة، نحن نكبر، وحبنا يكبر، إن غاب أحدنا ليلة لعذر قهري قلقنا وتكدرنا) ولا سبيل لمواجهة الهزيمة وغوائل الزمن إلا بالحب والمودة والصداقة، لقد كان هذا هو السياج الذي يحمي إنسانيتهم ويشعرهم بوجودهم وآدميتهم ويخرجهم من دوامة الأحزان والمصائب والآلام. يقول ص٥٧: "واقتصر المجلس على خمستنا أصبحنا من معالم المقهى، وظل قشتمر أحب الأماكن إلينا بل هو المأوى الذي نخلو فيه إلى أنفسنا ونتبادل عواطف المودة".

فمن هم هؤلاء الخمسة أصدقاء قشتمر؟ أو حرافيش نجيب محفوظ الجدد؟

يقدمهم لنا نجيب محفوظ بقوله ص٥ "بدؤوا التعارف عام ١٩١٥ في فناء مدرسة البراموني الأولية دخلوها في الخامسة وغادروها في التاسعة، ولدوا عام ١٩١٠ في أشهر مختلفة ولم

يبرحوا حيهم حتى اليوم، وسيدفنون في قرافة (مقـبرة) بـاب النصر، تضخمت جماعتهم بمن انضم إليهم من الجيران، جاوزوا العشرين عداً، ولكن ذهب من ذهب بالانتقال مـن الحـي أو بالموت، وبقي خمسة لا يفترقون ولا تمن أواصـرهم، هـؤلاء الأربعة والراوي التحموا بتجانس روحي صـمد للأحـداث والزمن، حتى التفاوت الطبقي لم ينل منهم، إنهـا الـصداقة في كمالها وأبديتها، الخمسة واحد، والواحد خمسة منذ الطفولـة الخضراء وحتى الشيخوخة المتهاوية حتى الموت".

وبداية لا بد أن يلفت نظرنا أن شخـصية الـراوي هـي شخصية نجيب محفوظ نفسه، وهي شخصية لا دور لها سـوى الحكي أو القص والتذكر والشهادة على سير الأحداث وتقدمها ووقوعها، وكأن هذه الشخصية المحفوظية هي المـنجم الـذي يتفجر بالذكريات ويتفجر معها القلم حبراً وكتابةً، إنه لا يقدم لنا نفسه مثلما فعل مع الأربعة الآخرين، بل يقول (اثنان منـهم من العباسية الشرقية، واثنان من الغربية، والراوي أيـضاً مـن الغربية، ولكنه خارج الموضوع).

أما الأربعة الآخرون فهم صادق صفوان الذي يقول له أبوه: "يا صادق اجتهد، أبوك لا يملك شيئا ليتركـه لـك فاجعـل الشهادة وسيلتك إلى الوظيفة"، وإسماعيل قدري سليمان الـذي يقول له أبوه: "أما أنت فمستقبلك بيدك"، وحمـادة يـسري

الحلواني الذي ينصحه أبوه بقوله: "لا قيمة للمال بدون العلم والمركز"، وطاهر عبيد الأرملاوي الذي سيصبح شاعراً مشهوراً فيما بعد ويتحدى رغبة والديه في أن يكون طبيبا مثل أبيه الباشا، يقول له أبوه: "الشعر في ذاته حرفة الشحاذين".

يقدم لنا الراوي - نجيب محفوظ - هذه الشخصيات الأربع - وعائلاتهم - من خلال السرد وحوار الأصدقاء عند التعرف واللقاءات المتعددة، ونلاحظ أنه يقدمهم لنا بحب شديد وإخلاص حقيقي رغم أنه يعتبر نفسه خارج الموضوع كما يقول.

ورغم أن آراءهم افترقت واختلفت حول سعد زغلول وثورة ١٩١٩ تبعا لاختلاف آراء أسرهم فإنهم ظلوا محافظين على صداقتهم ومودتهم، يقول الكاتب ص١٩: "وشهدنا الأحداث تباعا فطرأ الخلاف بين سعد وعدلي على وحدة الثورة، ووجدنا طاهر في جانب وبقيتنا في جانب آخر، كما اختلفنا سابقا حول ماشست وفانتوم، ولكننا - بخلاف الزعماء - حافظنا على مودتنا وصداقتنا الباقية".

إن نجيب محفوظ لا يعتمد على الرواية الأحادية للأمور والأحداث ولكنه يقدم لنا الرأي والرأي الآخر على طول الرواية، وقد ساعده على ذلك اختلاف الشخصيات، واختلاف تركيبتها الاجتماعية وانتماءاتها السياسية والفكرية والثقافية،

يقول صادق صفوان – على سبيل المثال – عن قريبه رأفت باشا الذي كان ضد سعد زغلول ص٣٠: "موقفه السياسي لا يمس مودتنا الراسخة، ويعاتب أبي كثيرا في رفق متسائلاً إلى متى يا خالي تنخدع بذلك الرجل المهرج". حتى اختلافاتهم في مجال الثقافة والأدب والأصالة والمعاصرة لا تفسد للود قضية بينهم (ويواصل ركن قشتمر سمره ما بين الأصالة والمعاصرة) ص٦١، إنهم حرافيش نجيب محفوظ وأصدقاؤه الذين لا يتخلفون عن اللقاء كل ليلة ويناقشون كل شيء بحب، حتى أمور الحب والمراهقة والزواج والطلاق يناقشونها في قشتمر الذي صار وطناً ثانيا لهم (ويمضي الزمن ويشهدون الحياة السياسية المصرية في تفسخها ولا انتماء لهم لحزب من الأحزاب).

لقد خرج من بين هذه الثلة من الأصدقاء شاعر كبير بفضل تشجيع أصحابه له وحثهم على المضي قدما في طريق الشعر رغم معارضة أسرته التي بالفعل ينفصل عنها لأنه أراد أن يشق طريقه في عالم الشعر وينبذ الطب، إنه طاهر عبيد الأزملاوي الذي ربما أراده نجيب محفوظ رمزاً للشاعر الراحل صلاح جاهين كاتب أغاني الثورة، يقول ص١١٠: "ومن بين أفراد مجموعتنا الفانية يبزغ طاهر عبيد كالقمر في تألقه وينطلق في طريق النجاح كالشهاب، من أول يوم دعي إلى المشاركة في تحرير مجلة الثورة".

وهزيمة ١٩٦٧ يحزن طاهر عبيد أكثر مما يحزن الزعيم نفسه، يقول نجيب محفوظ ص١١٩: "أما طاهر عبيد فقد حزن على الزعيم أكثر مما حزن الزعيم على نفسه، وتلا علينا ذات مساء قصيدة رثاء تقطر حزناً ومرارة وسخرية من النفس، و لم يسمع القصيدة أحد سوانا، و لم تعد الأجهزة تردد أغانيه فهي أغان لا تسمع إلا في جو النصر"، وأخذ طاهر يقول شعراً كثيراً "يفيض يأساً وحزناً وتشاؤماً، وتأثر في بعضه تأثراً واضحًا بفن العبث، و لم ينشر شيئاً مما يمكن أن يسيء إلى البطل الجريح ولو من بعيد".

أما بقية الحرافيش في مقهى قشتمر فقد سارت الحياة هم سيرها، فها هو صادق صفوان صديق الدراسة يفاجئهم بنيته فتح دكان خردوات وترك الدراسة والتفرغ لإدارة الدكان، وبالفعل يصبح من أشهر التجار وأغناهم في العباسية بعد ذلك، أما إسماعيل قدري سليمان فيطرد من كلية الآداب ويموت أبوه ويضطر للعمل موظفا بسيطا في دار الكتب، أما حمادة يسري الحلواني فيبدو أن نصيحة أبيه (لا قيمة للمال بدون العلم والمركز) قد فعلت فعلها، ولكن بطريقة عكسية، لأنه يرث ثروة كبيرة عن أبيه، ثم عن أمه فيقرر تبديدها والصرف منها على جميع ملذاته وسهراته وغرائزه وكأنه يقول لأبيه (المهم المال ولا قيمة للعلم والمركز) ولكن يبدو أنه يتراجع عن فكرته هذه كلما

تقدمت به السن، يقول ص١٤٣: "لا قيمة اليوم لأغنياء الـزمن الماضي".

إن البطل الحقيقي في رواية قشتمر لنجيب محفوظ هو الزمن، فسبعون عاماً عمر الزمن بما يدور فيها من أحداث وتطورات وتغيرات في طبيعة البلد والبشر وحياتهم هي البطل الرئيسي في هذه الرواية المضغوطة، ولأن سبعين عاما ليس بالعمر الهين في حياة الشخصيات الأربع فقد اضطر المؤلف إلى استخدام أسلوب النقلات الزمنية السريعة، وإزاء دور الزمن السريع لم يلجأ إلى أسلوب التحليل النفسي والاجتماعي والسياسي المعروف عنه في روايات أخرى، إلا بقدر.

إن رواية "قشتمر" لم يتعد عدد صفحاتها ١٤٨ صفحة من القطع الأقرب إلى الصغير (١٤×١٩سم) لذا فقد اعتمد الكاتب على أسلوب التقطيع والمونتاج السينمائي، وأحيانا كان يلجأ إلى أسلوب الاختزال مع إتاحة الفرصة لكل شخصية من شخصياته الأربع لأن تقول ما عندها وما يؤرقها ويقض مضجعها أو يسعدها في اجتماعهم الليلي في مقهى قشتمر، ونلاحظ – مرة أخرى – أن الراوي لا موقف له سوى التأمل، التأمل في طبيعة الزمن أو التأمل فيما يفعله الزمن في أصدقائه خلال سبعين عاما، والتأمل في طبيعة هذه الصداقة نفسها.

إنه يتأمل الماضي ويتشبث به "كلما ضن الحاضر بنبأ يسرٍّ هرعنا إلى الماضي نقطف من ثماره الغائبة" ص١٤٦. إن اقتراح الأصدقاء بالاحتفال بمرور سبعين عاما على صداقتهم الوطيدة في مقهى قشتمر هو احتفال ببطل الرواية وبالشخصية الفاعلة فيها بحكم طبيعتها وصيرورتها، إنه احتفال بالزمن وهو بالنسبة لهم زمن خاص جداً بهم، لأنه لم تند عن أحدهم خلال هذا الزمن هفوة تسيء إلى الوفاء من قريب أو بعيد، إن تيار الزمن في الرواية يبدأ منذ وقت التعارف الذي يحدده الكاتب بعام ١٩١٥ حيث تمضي فترة الصبا الأولى ثم فترة الشباب الذي يولي بإطلالة جيل الأبناء إبراهيم وصبري ودرّية، إن أصدقاء قشتمر يشعرون بوطأة الزمن عليهم فيقول حمادة الحلواني بامتعاض ص٩٤: "نحن نتقدم بسرعة في ذلك الطريق المجهول المسمى بالعمر" ويصيح صادق صفوان في الصفحة نفسها: "إليكم أول شعرة بيضاء في رؤوس شلتنا المصونة" ويتساءل طاهر عبيد ص٩٥: "هل تتذكرون كيف التقينا بمدرسة البراموني الأولية؟

كأنما حدث ذلك صباح اليوم"، حتى قشتمر لم يسلم من فعل الزمن؛ إنه أيضا طعن في السن وشاخ، وعندما يتقدم أحد الأصدقاء طالباً ابنة أحدهم لابنه يهز المجموعة ذلك الخبر هزة

لطيفة تذكرهم بمرور الأيام، تذكرهم بمرور الزمن وبوجوده الخفي بين أصابعهم وفوق سرير جفونهم.

لقد انقضت الأعوام والأصدقاء يمضون على وتيرة واحدة، وهم يدنون من الستين، ثم يمضي بهم الزمن، ويطوون كل يوم خطوة في الحلقة السابعة، ويمسي قشتمر عضواً فيهم كما يمسون هم ركناً فيه، يقول صادق ص١٤٣: "حقا أصبحنا هياكل عظمية، وسيكون أتعسنا من يمتد به العمر بعد رحيل الآخرين"، إنهم يسمعون صلصلة عجلات الزمن، ويرون قبضته وهي تطوي الصفحات الأخيرة من عمرهم، ويتساءل حمادة الحلواني: "ترى كيف تجيء النهاية؟" ولكن إزاء هذا الإحساس المفعم بفعل الزمن وباقتراب خطوات النهاية يعتقدون أن صداقتهم لم يمر عليها سوى دقيقة واحدة، وأن الزمن يمضي ويبقى الحب جديدًا إلى الأبد.

فلا سبيل إلى مواجهة فعل الزمن ــ البطل ــ سوى الحب والصداقة العميقة في كمالها وأبديتها، وهو الخطاب الأدبي الذي يحاول أن يجسده لنا نجيب محفوظ في "قشتمر".

***

إذن نحن أمام فعلين رئيسيين في هذه الرواية هما فعل الزمن مقابل فعل الحب والصداقة، وقد جسد الكاتب كلا الفعلين تجسيدا دراميا فاعلا في تلك الرواية المضغوطة.

ولكن، أي الفعلين سيصمد في النهاية؟ هل الحب والصداقة سينهزمان ويموتان تحت مطرقة الزمن؟ يقول الكاتب على لسان إسماعيل قدري ص١٤٧ آخر صفحات الرواية "ينطوي التاريخ بما يحمل ويبقى الحب جديداً إلى الأبد"، وكأنه ينتصر لفعل الحب والصداقة مقابل فعل الزمن، فهل ستصدق رؤية نجيب محفوظ أمام خيول الزمن الجامحة ؟ لو صدقت فإننا على الفور سنعدل أو سنغير من رؤيتنا للزمن على أنه بطل للرواية، ونقول في هذه الحالة إن الحب والصداقة هما البطل الأول والأخير والأبدي في رواية "قشتمر".

عن موقع اتحاد كتاب الانترنيت العرب

الأستاذ "عبد الوهاب الملوح"

الكتابة فن.إنّها فنٌ ترويض الكلمات بحثـا عـن الحقيقـة فيها.الكلمة مستودع للحقيقة وخزينتها؛ إنّها سرّها وبهاؤهـا؛ قدرتها على التجلّي والتخفي؛ الكلمة: استعارة الحقيقة؛ مجازها؛ وصورتها؛ كثافتها وبساطتها؛ بل إنّها عند بعضهم الحقيقة'' في البدء كانت الكلمة''ولأنّ الإنسان منذ قُـذف بـه إلى هـذه الأرض يبحث عن الحقيقة الكتابة محاولة فنية بالكلمة بحثا عـن الحقيقة فالكتابة ضرورة.

إنها فن الضرورة؛ الضرورة للحقيقة و للوعي بالأشياء وفهم العالم.

الكتابة تجربة وعي؛ إنها لا تحتاج لأي مبرر طالما إنها حاجـة حيوية؛ حاجة من حاجات الوجود الإنساني؛ إنّها فعل جـوّاني يتكثف انفعالا حادا لا يهدأ كنار على تل ضـارب في العلـو، يزداد اتقادا؛ يتغذى من جوع كافر يعتصر الأشياء يفتتها قطعا من حجر باك يتوسل ظله من صدى "حشرجة" تشرح فتـات معناه.

الكلمة حرف و الحرف ظاهر يطعن بالشك؛ إنـــه مـــوطن احتمال قاتل. موطئ شك انه صورة تفتن فتعمي: مسافة خدعة تسلب الروح نضارها و بعض يقينها بـــالامتلاء و الاكتمـــال تغاويها وتطعنها بالذهول فتسترف وعيها بالأشياء. الحرف هو عامر بالارتجال.فسيح كصوت يتأرجح صداه في الخلاء يؤثـــث صداع الفراغ بالمهول و المرعب. انه فسحة الملـــهوف يخدعـــه السراب يحسبه مقعد الارتياح وساعة ارتواء من صدى حـــاد ؛ فيتضح مهوى للريح. الحرف جواد ارعن شرس الطبع لا ينقاد طوعا إلا بالترويض. الكتابة ترويض للكلمات. فـــن امتطـــاء الحرف من لا يعرف كيف يسوس الحـــرف تهلكـــه الكتابـــة. الحرف مرقى من مراقي التألق؛ موطئ قدم للوجود. لا معـــنى إطلاقا للكتابة طالما إن " الحرف فج إبليس " كما قال الـــشيخ عبد الجبار النفرى. النفري رائد في التشوف للذات الكاملـــة؛ أشرقت فيه الذات الإلهية فارتوي من سكره بها ؛ أدركه جرح الإيمان في صفائه المتألق فعرف حقيقة الحرف حين يؤخذ علـــى ظاهره؛ فيُطلُّ على باطنه وأعماق أسراره. أسرار الحرف عديدة وجميلة؛ بهية وفاتنة؛ لكنّها قاتلة. النفري تجلّت له أسرار الحرف حتّي جعل له من خلاله مواقف ومخاطبات لا يدركها غير مـــن أدركته الذات الإلهية بسرّها. تجلت لـــه المراتـــب فـــاختلى في

ذاته.الجسم حرف و من لا يدرك دواخل الحرف ضل عن سواء السبيل وتاه في ممالك الغيّ. الكتابة سياسة للحرف و السياسة دهاء ومكر كما عاشها الأولون. الكتابة سهلة طالما إن الحرف ظاهر وصورة؛ شكل ورسم؛ و انسياق مطعون بالذهول خلف معنى شتته الغياب، تربكه غيبوبة الصوت في تهشم حلمه شظايا رغائب وأمنيات لم تكتمل؛ لن يكتمل الحرف بما انه لا معنى للمعنى فكيف إذا أتم تدوينه جرحا على بياض يفتق براءة وعفافاً؛ وليست كل كتابة تسلق للعفاف؛ إن بعضها وهم ينجز الخراب ويؤذن للفناء بما إنها لا تتقشف وتقتصد في الحرف و تعرفه. إن الكلمات حمالة أوجه فيها من الرعب ما يقتل ويجرح ويؤبن كذلك.

كل كتابة جنون.

وفي الجنون حالة من حالات الوعي المصطفاة.

إنها غواية تبحث عن معنى تهشّم غموضًا فتبدى غلالة أفكار، هي خواتم من رمل تعقد الريحُ سوالفها وتصهرها فصوصا تومض فتغشي الأبصار فإذا الكل عماء.

قيل لبشار بن برد؛ ما مهنتك يا هذا؟ قال بعد أن تنحنح كعادته وضرب كفًا بكفٍّ وقهقه بصوته الجهر: أعقد اللؤلؤ. كيف يعقد اللؤلؤ من كان أعمى. قال الشيخ عبد القاهر

الجرجاني: إنه يقصد باللؤلؤ ؛ الحروف. غير أن عمـــاء ســـائله كان أشد من عماء بشار. الحروف تفتح بصيرة الأعمى وتجعل غشاوة في عين من يرى. ليس مجنونا و لكنه ليس عـــاقلاً مـــن يمجد ما في الكتابة من عماء نافذ البصيرة مشرق المحيا.

وصايا "المبدع" النّاشئ العشر

بقلم: معز الباي*

صديقي الشاعر، صديقي القاصّ، صديقي حامل القلم، ناسك صومعة الإبداع... أما وقد قرّرت الخروج من شرنقتك وتمزيق أليافها والعبور إلى هذا العالم الخطير، فقد حقّ عليّ أن أنبّهك لمفاوز ومهالك قد تعترضك وأزوّدك بخارطة للطريق تقفوها رجلاك حتّى لا تذهب ضحيّة هذا الحقل المفخّخ من الألغام الأدبيّة والمزالق الثقافيّة، والتي يتوجّب عليك أن تستعير عين الهدهد وتتجنّب حمقه حتّى تراها وترى الفخاخ المنصوبة تحت حَبّ الإغراء.

كما تفعل بعض الأدلّة السّياحيّة التي توزّع على زوّار بلادنا، رأيت أن أزوّدك بهذه الوصايا الثمينة:

١. صديقي المبدع، كلّما نشرت أكثر في الصّحف والمجلاّت زاد حضور اسمك، هذا أمر بديهيّ، ولكن ماذا تنشر؟ عليك أن تنشر دائما أردأ ما عندك (إن كان عندك باب للمفاضلة) حتّى يطمئنّ لك قدماء المحاربين ويتيقّنوا أن ما من خطر تشكّله عليهم، وحتّى لا تكون الطّائر الذي يغرّد خارج السّرب.

٢. في ساحة ثقافيّة تضيق بالأسماء، عليك أن تنتقي أولئك الذين يجب تملّقهم. من هم وكيف تميّزهم عن غيرهم؟ الأمر بسيط: عليك أن تتملّق كلّ اسم لا يغيب عن لجان التحكيم في الملتقيات والمسابقات الأدبيّة، وستجد أنّ قائمتهم لا تطول. ولا بأس ببعض "الهدايا" من حين لآخر. هذا التصرّف كفيل بنقلك من زمرة النّكرات إلى زمرة ذوي المستقبل الواعد.

٣. في ساحة ثقافيّة تمزّقها الصّراعات العائليّة (العائلات "المافيوزيّة" نقصد) عليك أن تجد أبا روحيّا « Padrino » يتبنّاك ويرعى خطاك، وإلاّ اعتبرت لقيطا وسهل التهامك.

٤. إذا كبرت قليلا وثبتت خطاك، فلتبحث لك عن جيل يلمّ شتاتك وتنتسب إليه، على أن يكون مناسبًا لك (من العسير عليك الانتساب إلى شريحة "الخمسينات" وحتّى "السّبعينات" إن كنت فهمت قصدي).

٥. ابحث لك عن معركة "ثقافيّة" تخوض غمارها وتحمي وطيسها، وإن تعذّر عليك ذلك فلا بأس من افتعالها. ولا تلق بالا لأولئك الذين يصفونك بالجرذ قارض الورق (ترجمة رديئة لعبارة Souris papivore) ولا لتلميحهم بأنّ الجرذان تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله، فالسّاحة الثقافيّة، وبعيدا عن الأطعمة الدّسمة المسبّبة للكوابيس أثناء النّوم، تعجّ بـ"الطّيّبات" إن عرفت من أين تؤكل الكتف.

٦. صديقي "قارض الثقافة"، أما وقد بلغت هذا المبلغ فإنّ فرصتك في أن تكون متنفّذا في السّاحة الثقافيّة صارت ذات قيمة، فعليك، كلّما سنحت مناسبة، أن تكرّم صديقا أو حليفا في ما تشرف عليه من مناسبات ثقافيّة، شرط أن يكون في موقع يسمح له بردّ المجاملة، وهذا لعمري سلوك مديم للعشرة، باعث للنّشاط، مفيد للتصلّب الذي قد يصيبك من طول مكثك على نفس الكرسيّ.

٧. وقبل أن أختم، إليك صديقي نصيحة يقدّمها قلب مخلص لصديق: إيّاك والزّجّ بنفسك في الطّرق الخطرة، إيّاك وأن تترك قلمك يقود قدمك إلى مواطن الألم والجراح، فإنّ ذلك كفيل بتأليب أرباب نعمتك عليك، وإزعاج مساكنيك ومن علا غطيطهم في دروب الثقافة الموحلة. فلتكن كتاباتك سياحة آمنة تلتزم قواعد اللّباقة وإشارات الطريق.

صديقي المبدع، إليك هذه الوصيّة الثّامنة والأخيرة: لا تنخدع ببريق العناوين الفضفاضة، فلطالما كان العنوان شَرَكا للمتهافتين. ولتغفر لي خلوّ جعبتي من وصيّتين أكمل هما عدّة مقالي هذا، سوى أن أوصي بكفن لا يلطّخه حبرك، أُدفن فيه.

الأحد ٢١ جانفي – كانون الثاني ٢٠٠٧

بقلم : معز الباي

لكي تكون كاتبًا فعالاً

"خولة القزويني"

هناك مبادئ أساسية وهامة تجعل من كتابتك فعالة ومؤثرة وناجحة، قد تسأل نفسك ما سر نجاح هذا الكاتب وفشل ذاك، حتماً هناك نقاط جوهرية وهامة هي التي تجعل للكلمة نشاطاً خلاباً في روح القارئ.

اتبع معي هذه الأساسيات:

- كن متحمساً للفكرة لأن الحماس سينتقل إلى القارئ، فلا تكتب وقلمك خامل وإحساسك فاتر حينذاك ستفتعل السبل للإقناع، فإذا بك تنفر القارئ من أول سطر.

- اجعل هدفك نصب عينيك.

اسأل نفسك لماذا أكتب في هذا الموضوع وأياً كان نوعه إن الهدف يرتب أفكارك ويوجه مسارك بشكل منطقي.

- كن مؤمناً بالفكرة، لا تكتب في موضوع أو قضية غير مقتنع بها، فكرتك المهزوزة لن تصل إلا إلى عيني القارئ فقط.

- ركز على الفكرة لا على تنميق الأسلوب وتوصيف الأحداث، لأن التركيز على الفكرة سيجعل الكلمات تخرج بطبيعتها وتنهمر على الورق بلا تكلف ولا تصنع.

- جمع أفكارك ورتبها مسبقاً، ابحث في خلفيتك عن التجارب الهامدة التي علمتك شيئاً عن الحياة وجمع خواطرك وأفكارك، وقناعاتك التي استقيتها من هذه التجارب، يقول الدكتور (تشارلز رينولد براون).

(فكر ملياً في موضوعك حتى يصبح سلساً وقابلاً للتوسع، ثم دون كل هذه الأفكار على الورق، بمجرد كلمات قليلة تكفي لتثبيت فكرة).

- تخيل وأنت تكتب أنك تتحدث إلى الناس وتستشعر ردود أفعالهم بكل بساطة وأريحية وقناعة، فالأسلوب المعقد الغامض يشوه الفكرة حتى وإن كانت جيدة.

- التزم بحدود الموضوع والمنطقة أو المحور الذي تريد تغطيته فلا تخلط الأفكار ببعضها وتتوسع بشكل تضيع معه بنيان المقال، بل ركز على الفكرة الجوهرية.

- اجمع معلومات كرصيد ومخزون تأخذ منه الحقائق التي تدعم موضوعك وإليك تجربة كاتب اسمه (جون جونثر) مؤلف كتاب (من الداخل) وهو من أكثر الكتب مبيعاً في العالم، يتحدث عن طريقة إعداده لتأليف كتاب، في السابق كان (جون جونثر) يعمل بكتابة سلسلة من المقالات عن مستشفيات الأمراض العقلية، زار هذه المؤسسات، وتحدث مع المشرفين

والمرافقين والمرضى وكان يرافقه أحد أصدقائه لمساعدته في البحث، ساروا أميالاً صعوداً وهبوطاً وبطول الممرات ومن مبنى إلى آخر ويوماً بعد يوم ملأ السيد جونثر كراسات بالمعلومات، وعندما عاد إلى مكتبه قام بترصيص التقارير الحكومية والرسمية وتقارير المستشفيات الخاصة ورزم من إحصائيات اللجان، وفي النهاية كتب أربع مقالات قصيرة تتسم بالبساطة وتحتوي على القصص لدرجة تجعلها تصلح مادة جيدة لحديث يلقى.

إنه أشبه بالباحث عن الذهب في تربة غنية بالمعادن فلا يمكنه إغفال شيء منها!

- استخدم عقلك الباطن في ترسيخ الفكرة، لأنه سيساعدك ويلهمك في أفكار جديدة، طالما أنت قد زرعت فيه البذرة، فعن تجربتي الخاصة في كتابة المقالات تبقى الفكرة مزروعة في عقلي الباطن تصحو وتنام معي، أستيقظ وإذا بسيل هادر مختزن في عقلي الباطن يوجهني لأكتب بسلاسة وبعد أن تكون الفكرة قد اختمرت تماماً.

- كلما تنزل الميدان وتعيش الواقع كلما كان نتاجك حيوياً فعالاً، فالكاتب العالمي نجيب محفوظ عرف عنه تعايشه للشارع المصري والحارة والزقاق والأحياء الشعبية، فكتب معبراً عن الشخصية المصرية والبيئة الشعبية بمنتهى الشفافية، وهذا سر

تفوقه في ثلاثيته الشهيرة التي حازت على جائزة نوبل. (بين القصرين - السكرية - زقاق المدق).

- ابدأ كتاب مقالتك بقصة أو حادثة، فالناس تحب القصص وتستثيرها الحكايات.. فليكن في بعض الأحيان مدخل مقالتك بقصة.

إذ قال أحد الصحافيين بجريدة (كوار نزلي جورنال أف سبينش) (إن المثال الصادق هو أفضل الطرق لتوضيح الفكرة وجعلها شيقة ومقنعة وعادة ما استخدم العديد من الأمثلة لتدعيم كل نقطة رئيسية).

- اكتب في المواضيع التي تثير اهتمام الناس وتشد انتباههم، فكل ما يتعلق بمشاكلهم المعيشية وقضاياهم الاجتماعية تستهويهم، سئل (ريتشارد واشبير تشايد)- سفير أميركا الأسبق في إيطاليا ذات مرة عن سر نجاحه ككاتب شيق، أجاب قائلاً (إن الحياة تثيرني بشدة لدرجة أنني لا أستطيع البقاء ساكناً، وأضطر إلى إخبار الناس بذلك).

- وعندما سئل ملك الصحافة البريطانية اللورد نورث كليف عما يثير اهتمام الناس، أجاب قائلاً: أنفسهم وعلى هذا الأساس بنى امبراطورية صحافية.

- حاول أن تستخدم العبارات العاطفية الجاذبة للقارئ، فالأسلوب الجاف البعيد عن بعض المصطلحات الحميمية تبعد المسافة بين المكاتب والقارئ.

- دائماً اكتب بصيغة (نحن) حينما تنتقد وضعاً سلبياً إن اعتبارك واحدا من المجتمع يجعلك قريباً منهم في حين مخاطبتهم بأنتم واستثناء نفسك يضفي عليك وضعاً مستعلياً منفرًا للقارئ.

- يقول (هنري ودانالي توماس) في كتابهما السير الحية للزعماء الدينيين متحدثين عن أحدهم:

- (إنه لم يحاول أبداً إبهار الناس بمعرفته التي لا يشاركه فيها أحد غيره، بل حاول تنويرهم بتعاطفه الذي شمل الجميع).

- سحر المقال وفنه ترتكز على عبارته الأولى التي تستهل بها موضوعك، وإليك بعض الجمل الافتتاحية التي تشد القارئ.

(بينما كنت أسير في مبنى الوزارة...)

(في عام ٢٠٠٥ تحول البلد إلى كابوس)

(كنت جالساً في مكتبي وإذا بأحد الأصدقاء..)

الفكرة الجيدة أن تكتب الغرض كما تكتب البرقية، محاولا اختزال عدد الكلمات، وجعل لغتك واضحة وصريحة بقدر المستطاع.

- والأهم من كل هذا أن تركز على النوعية لا الكمية قد تكتب في الشهر مقالة ناجحة أفضل من مقالات أسبوعية متسرعة لا تفي بالغرض.

- وأخيرا (القراءة) أن تكون قراءاتنا أضعاف ما نكتب، فمخزوننا الفكري نستمده من تجارب الآخرين والمفكرين ومؤلفاتهم وكتبهم، ونحن من نستخلص ونضيف عليها من تجاربنا.

أتمنى من كل قلبي أن يستفيد كتابنا الموهوبون من هذه النقاط لتساعدهم في مسيرتهم الإبداعية.

العرب لا يقرأون

د. عائض القرني

إذا ركبت مع أوربي وجدته خانسًا منغمساً يقرأ في كتاب، وإذا ركبت مع عربي وجدته يبصبص كالذئب العاوي،أو كالعاشق الهاوي، يتعرف على الركاب، ويسولف مع الأصحاب والأحباب. بيننا وبين الكتاب عقدة نفسية، ونحن أمة (اقرأ)،ولكن ثقلت علينا المعرفة، وخف علينا القيل والقال،ولو سألت أكثر الشباب: ماذا قرأت اليوم؟ وكم صفحة طالعت؟ لوجدت الجواب: صفرًا مكعّبًا، مع العلم أن غالب الشباب بطين سمين ثخين بدين، لأنه مجتهد في تناول الهنبرقر والبيتزا، وكل ما وقعت عليه العين ووصل إلى اليدين:

سل الصحون التباسي عن معالينا

واستشهد البَيْضَ هل خاب الرجا فينا

كمْ (كبسة) شهدت أنا جحافلها

وكم خروفٍ نهشناه بأيدينا.

يحتاج شبابنا إلى دورات تدريبية على القراءة،لأنهم وزّعوا الأوقات على السمر مع الشاشات، أو التّحلق على الكبسات، أو متابعة آخر الموضوعات. الإنسان بلا قراءة قزم صغير، والأمة بلا كتاب قطيع هائم، طالعت سِيَر العظماء العباقرة فإذا الصفة اللازمة للجميع مصاحبتهم للحرف، وهيامهم بالمعرفة وعشقهم للعلم، حتى مات الجاحظ تحت كتبه، وتوفي مسلم صاحب الصحيح وهو يطالع كتاباً، وكان أبو الوفاء ابن عقيل يقرأ وهو يمشي، وقال ابن الجوزي: قرأت في شبابي عشرين ألف مجلده، وقال المتنبي: وخير جليس في الزمان كتاب، سألت شباباً عن مؤلفي كتب مشهورة فجاءت الإجابات مضحكة، قال صاحب كتاب فن الخطابة: العظمة هي قراءة الكتب بفهم، وقال الروائي الروسي الشهير تيولوستي: قراءة الكتب تداوي جراحات الزمن، وقال الطنطاوي: أنا من ستين سنة أقرأ كل يوم خمسين صفحة ألزمت نفسي بها:

جمالَ ذي الدارِ كانوا في الحياةِ وهمْ
بعدَ المماتِ جمالُ الكتبِ والسيَرِ.

صح النوم يا شباب فقد انقضى العمر، وتصرّمت الساعات، وقتل الزمان بالهذيان وأماني الشيطان وأخبار فلان وعلاّن،

استيقظوا يا أصحاب الهمم الهوامد، والعزائم الخوامد، والذهن الجامد، والضمير الراقد:

وَلَو نار نفخت بِها أَضاءَت

وَلَكن أَنتَ تَنفخ في رَمادِ.

قاتل الله التسويف والإرجاف، وسحقاً لمن زرع شجرة «ليت» لتثمر له «سوف»، وتخرج له «لعلّ» ليذوق الندامة:

وَمُشتَّتِ العَزَماتِ يُنفِقُ عُمرَهُ - حَيرانَ لا ظَفَرٌ وَلا إِخفاقُ.

حيّا الله الهمم الشماء، والعزيمة القعساء، التي جعلت أحمد بن حنبل يطوف الدنيا ليجمع أربعين ألف حديث في المسند، وابن حجر يؤلّف فتح الباري ثلاثين مجلداً، وابن عقيل الحنبلي يؤلف كتاب الفنون سبعمائة مجلد، وابن خلدون يسجّل اسمه في عواصم الدنيا، وابن رشد يجمع المعارف الإنسانية:

لولا لطائف صنع الله ما نبتتْ

تلك المكارم في لحمٍ ولا عصبِ.

وددتُ أنّ لنا يوماً في الأسبوع يخصص للقراءة، ويا ليتنا نبدأ بمشروع القراءة الحرّة النافعة عشر صفحات كل يوم تُقرأ بفهم من كتاب مفيد لنحصد في الشهر كتاباً وفي السنة اثني عشر كتاباً، ولتكن قراءة منوّعة في ما ينفع لتتضح أمامنا أبواب

المعرفة وتتسع آفاقنا، وتُنار عقولنا. فيا أمة (اقرأ) هيا إلى قــراءة راشدة، واطلاع نافع، وثقافة حيّة، ومعرفة ربانيــة، وســوف تنتهي بكم التجارب إلى أن الكتاب خير جليس، وشكراً للأمير بن صمادح حيث يقول:

وزهدني في الناس معرفتي بهم
وطول اختباري صاحباً بعد صاحبِ
فلم ترني الأيام خلاً تسرني
مباديه إلاّ ساءني في العواقبِ
ولا قلت أرجوه لكشف ملمةٍ
من الدهر إلاّ كان إحدى المصائبِ!
فليس معي إلاّ كتاب صحبته
يؤانسني في شرقها والمغاربِ.

موقع نواف علي شبكة الانترنيت

اختلاف طقوس الكتابة الإبداعية عند الكتاب والشعراء!!

"سيامند إبراهيم"*

قبل أن يلج المبدع عالم الكتابة، ويحمل يراعه، ويبدأ في رسم المعالم الأولى من خطوط موضوعه المراد على الورق يهيئ نفسه لفترة من الزمن استعداداً للحظة الخلق والإبداع الذي يجعل مادته مثار الكتابة القوية، ونرى أنه لكل كاتب طريقة خاصة في هذا العالم الفسيح الرحب من التدوين، وكان الشاعر الأميركي (ادجار بو) يضع قطاً على كتفه أثناء الكتابة. والأديب النرويجي أبسن كان يضع أمامه صورة للأديب (سترندبرج)وهو أعدى أعدائه، وكان يقول: إنما أردت أن أغيظه وهو يتفرج على إبداعي قبل نشره على الناس![1]

فالأديب عثمان صبري كان يغلق الباب على نفسه، ويجلس على كرسي صغير ويأخذ قلم الرصاص، وقصاصات من الورق ويبدأ بتدخين السكائر ويسير في الغرفة لمدة دقائق ويبدأ بالكتابة وحيداً ثم يبيض ما كتبه بقلم ناشف آخر، ثم يبدأ بدقه على الآلة الكاتبة التركية والتي تحوي على الحروف الكردية، إلى أن ينتهي من نصه الابداعي، وأما بالنسبة للشاعر جكرخوين، فقد قال ذات مرة لوالدي أن شيطان الشعر يأتيه فجأة ويبدأ ما

يجول في مخيلته الشعرية في الكتابة الفورية قبل نسيان الصور الشعرية الجميلة، وفي دمشق أيضاً كان شاعرنا جكرخوين يأخذ معه دفتراً سميكاً إلى مكتبة الظاهرية في دمشق ويبدأ بمطالعة الكتب التاريخية، وفجأة يترك التاريخ وأوزارها ويمتطي صهوة الإبداع ويحلق في سماء الشعر الكردي راسماً أحلى القصائد خارجة من لدن شاعر كبير، وقد كان الأستاذ علي سيدو الكوراني صاحب القاموس الكردي الحديث يكتب بخط ناعم صغير وعلى دفاتر متوسطة الحجم، وقد شاهدت جميع مخطوطاته في مترله بالأردن، وقد كانت زوجته الفلسطينية تزعجه أثناء الكتابة والترجمة؟! والشاعر الكردستاني (شيركو بيكس) يدخن كثيراً ويحمل قلماً حبراً ويخط أجمل القصائد بخطه الجميل، وقد أهدانا قصيدة في مهرجان المدى لمجلة (آسو)، وعندما ذكرته في السليمانية بخطه الناعم وقصيدته الكردية الدمشقية نسي وأنكر تلك القصيدة، فما كان مني إلاّ أن أخرجت القصيدة وذهل لما شاهده وكان قد نسي قصيدته؟

والشاعر السوري نزار قباني كتب أولى قصائده على ظهر السفينة التي كانت تمخر عباب البحر متوجهة إلى أسبانيا، وأمير الشعراء (أحمد شوقي) كان يكتب على أي ورق يصادفه، وكان حسن هشيار يكتب في البداية على أوراق الدفتر بعناية وأناقة فائقة ثم يقوم بالكتابة على الآلة الكاتبة بنفسه وتدوم

الكتابة عنده أيام وأسابيع طوال قبل أن يرى العمل النور وكان الأديب الفرنسي (فكتور هيجو) يطلب من خادمه أن يأخذ معه كل الملابس التي قد يحتاج إليها ولا يعود إلا ليلا لكي يكـــون هيجو عارياً على راحته.

والروائي الفرنسي بلزاك يضع إلى جواره دلواً من القهـــوة، والأديب د. هـــ. لورانس كان يكتب عاريـــاً، أمـــا الروائـــي الكولمبي غابريل غارسيا ماركيز، فهو يملي مـــا يرويـــه علـــى سكرتيرته التي تقوم بتنضيد ما يملي عليها، وقد رأيت قـــصائد الكثيرين من الشعراء الملالي في الجزيرة، كـــالملا عبـــد المجيـــد كنعاني، الملا عبد الله المهاجر يكتبون على قـــصاصات ورقيـــة صغيرة، ورأيت بعض الأدباء الدمـــشقيين يكتبـــون في ضـــجة المقاهي وكأنهم في دنيا أخرى، وبعـــض الأدبـــاء يكتبـــون في الحدائق العامة، أما بالنسبة لي فإنني ألبس كامل هندامي وأتأنق أتعطر وأضع موسيقى كردية ثم أبدأ الكتابة وبـــسبب خطـــي السيئ فلله الحمد و للذي اخترع الكومبيـــوتر وهـــو الـــذي يساعدني في حفظ ما كتبته، واستغنيت عـــن الـــورق والقلـــم والمسجلة، أما الطامة الكبرى فلا أعرف كيف يكتب صـــديقي إبراهيم اليوسف في مترل يعج بنصف دزينة من الأولاد والبنات

وعشرات الضيوف الذين لا تنقطع الزيارات إلى منزلـــه بـــشتى مناحيها، المحبة له والتحسسية عليه والخارجة عن أصول اللباقـــة في توقيتها.

• رئيس تحرير مجلة أسو الثقافية الكردية في سورية.
• عضو نقابة الصحافيين في كردستان العراق.
• mazidax@hotmail.com
• كيف يستعد هؤلاء للكتابة، أنيس منصور - الشرق الأوسط العدد - الاثنين ٢٧آذار- ١٩٩٨

وصف الأثاث في رواية "بداية ونهاية" لنجيب محفوظ

من المعلوم أن الوصف ينصب على أربعة مكونات أساسية، وهي: الأشخاص والأمكنة والأشياء والوسائل. وللوصف وظائف جمالية وسردية وتوضيحية وتفسيرية. ويقوم بتمثيل الموجود مسبقًا ومحاكاته من أجل الإيهام بوجوده الحقيقي والمرجعي (الإيهام بالواقعية). ويهتم الوصف في الرواية الواقعية بتحديد المجال العام الذي تتحرك فيه الشخصيات. وقد قال آلان روب گرييه" لقد كان الوصف يستخدم في تحديد الخطوط العريضة لديكور الرواية، ثم لإيضاح بعض العناصر التي تتميز بشيء من الأهمية وتعبر عن شيء ما ، أما الآن فلا نتحدث إلا عن جمادات وأشياء لا تكشف عن شيء ولا تعبر عن معنى"، ولا يبقى بعد هذا سوى الطابع الجمالي التزييني.

لقد ركز نجيب محفوظ في روايته بداية ونهاية التي كتبها سنة ١٩٤٢م على تقنية الوصف الواقعي المتقابل في منظوراته الجدلية والتعبيرية والسردية. فوصف مجموعة من الشخصيات، منها: فريد أفندي محمد(ص١١)، وحسين وحسنين(ص٥ وص٦)، وحسن(ص٩)، وأحمد بك يسري (ص١٢)، والأم (ص١٢)، ونفيسة(ص١٤). وكانت ريشة نجيب محفوظ الوصفية تنصب

على المعطى الخارجي/الفسيولوجي والبواعث السيكولوجية حيث يختلط الوصف بالسرد في جدلية فنية رائعة.

و إلى جانب هذا، لم ينس نجيب محفوظ وصف الوسائل (السيارة ص١٢)، والأشياء (الكرسي ص١٢)، و الأمكنة (المدينة الكبيرة ص١٤). كما اهتم نجيب محفوظ في روايته الانتقادية للمجتمع المصري إبان ثلاثينيات القرن الماضي بوصف الأشياء على غرار الروائيين الواقعيين أمثال: بلزاك وفلوبير وستندال وإميل زولا...

ففي نهاية رواية (بداية ونهاية) تلتجئ الأم إلى بيع الأثاث الموجود في المترل بعد وفاة رب الأسرة (علي كامل) لتعيل أولادها وتتكيف مع الأوضاع السوسيو اقتصادية المعقدة، لأن الأب- كان- العمود الفقري بالنسبة للطبقات المتوسطة في المجتمع المصري أثناء الاحتلال الإنجليزي لمصر. فبدونه تؤول الأسرة إلى الضياع والفقر والجوع المحتوم. وهكذا قررت الأم بعد دفن الفقيد بيع ممتلكات المترل من دولاب وملابس المرحوم والمرآة الكبيرة التي توجد في وسط الدار لتوفير نفقات الأسرة ؛لأن معاش زوجها لم يعد يكفي لسد حاجيات أبنائها: حسن وحسين وحسنين ونفيسة.

وللأثاث في الرواية دلالات اجتماعية وطبقية وأبعاد إيديولوجية مفتوحة لأنها تعبير عن فقر الأسرة واضمحلالها

الطبقي ونزول من درجة اجتماعية إلى أخرى أدنى منها؛ مما سينعكس على تصرفات الشخصيات الثلاث المحورية في الرواية ألا وهي: حسن وحسنين ونفيسة التي التجأت إلى الثورة والرفض والتمرد عن الأشياء وعجزها عن تحقيق التوازن الطبقي، بينما اختار حسن الصعلكة لتحقيق ذاته بطريقة عبثية وجودية. بيد أن هذه الشخصيات الثلاث كانت مصائرها ذات طابع إشكالي انتهى بها الواقع إلى القلق النفسي والاجتماعي والانتحار والموت.

ويقارن نجيب محفوظ في هذه الرواية بين نوعين من الطبقات الاجتماعية: الطبقة الدنيا من خلال افتقارها للأشياء والأثاث اللازم والضروري، والطبقة الارستقراطية التي تنعم في الثراء المادي وامتلاك التحف الأثرية والأثاث الذي يتغير من ظرف زمني لآخر حسب الموضات والتطورات التقنية. فأحمد بك يسري يملك عالما فضائيا مؤثثا بالأشياء الثمينة التي تعبر عن التطلعات البورجوازية لهذه الشخصية المتخمة، بينما أسرة المرحوم علي كامل تفتقر إلى أدنى الحاجيات التي بها تتوازن الحياة وتعتدل القيم.

فمن خلال هذا التعارض بين الكماليات التحسينية والحاجيات الضرورية يجب موضعة فلسفة الأثاث في رواية "بداية ونهاية".

إليكم المقاطع النصية من الرواية لمعرفة الوضع الاجتماعي والاقتصادي للأسرتين معا: " لا أدفع مليما واحدا أكثر من الثلاثة الجنيهات" قالها تاجر الأثاث وهو يلقي نظرة على فراش المرحوم، ولم تعد تجدي مساومة الأم. وكانت قد أجمعت على بيع الفراش ولوازمه لما يثير وجوده من الأحزان، ولأنها باتت في مسيس الحاجة إلى نقود، وكانت ترجو له ثمنا أكثر من هذا لعله يسد بعض عوزها الملح إلى النقود؛ ولكنها لم تجد بدا من الإذعان فقالت للتاجر" غلبتنا سامحك الله ولكني مضطرة للقبول".

ودفع الرجل إليها بالجنيهات الثلاثة وهو يشهد الله أنه المغلوب، ثم أمر تابعين بحمل الفراش، واجتمعت الأسرة في الصالة تلقي نظرة الوداع على فراش فقيدها المحبوب."

يصور لنا هذا المقطع على الرغم من مأساويته الفظيعة وبعده الدرامي الاجتماعي فلسفة الأثاث تصويرا عميقا قائما على الرؤية الإنسانية والمشاعر المرهفة التي قوامها الحزن واليأس والضياع الوجودي والواقعي. ويحدد لنا النص أيضا أبعاد الأثاث

الذي له بعدان متقاطعان: البعد الاقتصادي يتمثل في حاجة الأم إلى النقود لإعالة الأسرة والتكيف مع مصاعب الحياة ومشاكلها ومشاغلها، وهذا يؤكد مدى الفقر المدقع الذي تعيشه الأسرة وحاجتها الماسة إلى الجنيهات لتدبر أحوالها والظهور بالمظهر اللائق أمام الآخرين، كما نلاحظ أن الأثاث لم يعط فيه التاجر إلا ثمنا زهيدا مما يترتب عليه عدم قيمة وبموت وظيفته التزيينية ونقص دوره الديكوري والجمالي.

أما البعد الثاني، فهو سيكولوجي حيث يذكر الفراش أفراد الأسرة بالمرحوم، فوجود متاعه- هو بطبيعة الحال- يمثل وجود الأب في شكل ذكريات يذكر الأم ويؤرقها ويشعل فيها نار الحزن والألم. لذا، فبيع الفراش تأشير على النهاية والضياع الأبدي وتأكيد النهاية الميتافيزيقية لوجود الإنسان.

هذا، وإن نجيب محفوظ لما يصور البيت وأثاثه يسبغ عليه مشاعر إنسانية في شكل صور روائية متوترة يتداخل فيها الشيء والإحساس الإنساني عبر علاقات شعورية ولاشعورية ملؤها الصدق والمعاناة البشرية الذاتية والانفعالية الصادقة. وقال السارد يصور أمتعة البيت لما دخل حسين وحسنين إلى بيت المرحوم بعد وفاته بساعات قليلة ليلقيا نظرة أخيرة:

" فتراجعا خطوتين، وتولى حسنين عناد طارئ فتوقف. وشجع به حسين فتوقف كذلك وحال بصرهما بالحجرة فيما

يشبه الذهول. وكأنهما كانا يتوقعان تغيرا شاملا لا يدريانه، ولكنهما وجداها كالعهد بها لم تتغير منها شيء، هذا الفراش على يمين الداخل، والصوان في الصدر يليه المشجب، وإلى اليسار الكنبة التي ارتمت عليها الأخت وقد أسند إلى حافتها عود انغرست ريشته بين أوتاره، وثبتت عيناهما على العود في دهشة ممزوجة بالحزن طالما لعبت أنامل الراحل بهذه الأوتار وطالما التف حولها الأصدقاء مطربين يستعيدون ويعيد، فما أعجب مابين الطرب والحزن من خيط رقيق، أرق من هذا الوتر. ثم مر بصرهما الحائر بساعة الراحل على خوان غير بعيد من الفراش، لا تزال تدور باعثة دقاتها الهامسة، ولعل الراحل قرأ فيها آخر تاريخ له في الدنيا وأول عهدهما باليتم. وهذا قميصه على المشجب وقد لاحت آثار عرقه ببنيقته، فرنوا إليها بحنان عميق، وقد بدا لهما في تلك اللحظة أن عرق الإنسان أشد نباتا من حياته العظيمة".

يركز السارد في هذا النص على أثاث الحجرة بطريقة تجمع بين المنحى التشييئي المادي والمنحى النفسي الإنساني، وقد استند إلى الوصف لتشخيص الأمتعة وأنسنتها. ولقد استعمل الكاتب قاموسا يتكون من الأمتعة التالية:

الفراش- الصوان- المشجب- الكنبة- العود- الريشة- الأوتار- الخوان- القميص- البنيقة.

وتجمع هذه الأمتعة بين الألبسة والأدوات المادية للتأثيث داخل حجرة النوم حيث يتداخل البعد الجمالي (الموسيقى) والإطار المادي للفضاء الحميمي (حجرة النوم). بيد أن هذه الأمتعة سرعان ما تبيعها الأم تحت إكراهات وضغوطات اقتصادية وآثار نفسية اجتماعية:

" وانقضى عام آخر، وواصلت الحياة سيرها لا تلوي على شيء، ومضى كل فرد من أفراد الأسرة في سبيله لما يلقى من خير وشر. ولو أتيح للأب أن يعود إلى الحياة لأزعجته الدهشة لما طرأ من تغيير على أسرته شمل الأرواح والأجساد والصحة ونظرات الأعين، ولكن كان حتما سيعرفهم، سيعرف أن المرأة هي زوجه وأن الأبناء أبناؤه، أما الذي كان ينكره، ولا يعرفه مهما أجد ذاكرته فهو البيت اختفى الأثاث أو كاد، فلم يبق بحجرة الاستقبال بعد بيع سجادتها، واقتصرت غرفة الأم على كنبتين يستعملان نهارا للجلوس وليلا للنوم وخلت الصالة، حجرة السفرة قديما- فبيع البوفيه والمائدة والكراسي، وانتهى بهم الحال إلى تناول طعامهم على صينية مقتعدين الأرض، بل بيع فراش حسن. ولولا الضرورة القصوى لبيع الفراشان الباقيان".

ونستشف من خلال هذا المقطع السردي والوصفي، أن الأسرة أصابها تغير كبير ليس على مستوى الشخوص فقط ، بل على مستوى الأمتعة والتأثيث. إذ باعت الأسرة معظم الأثاث وغيرت ديكور المترل، وأصبح التأثيث لا يعبر إلا عن حالة الفقر المدقع والمعاناة الإنسانية القاسية التي يعاني منها أفراد الأسرة.

وإذا انتقلنا في المقابل إلى فيلا أحمد بك يسري سنجد الطابع الكمالي التزييني والثراء الفاحش المبالغ فيه من خلال تأثيث المكان بأمتعة ثمينة جدا ونادرة الوجود. وتعبر فلسفة امتلاك الأشياء كذلك عن التطلعات البورجوازية والرؤية الأرستقراطية لأفراد الأسرة.

دونكم هذا المقطع الذي يصور ذهاب حسين وحسنين إلى فيلا أحمد بك يسري طلبًا وساطته قصد البحث عن وظيفة لحسين بعد حصوله على البكالوريا:

"وذهب الشقيقان عصرًا إلى شارع طاهر وقصدًا مقابلته كما أوصتهما أمهما فغاب البواب دقائق ثم جاء ليدعوهما إلى حجرة الاستقبال. ودخلا يسيران في ممشى الحديقة الوسط وهما ينظران إلى شتى الأزهار التي كست الأرض بألوان بهيجة بدهشة، ثم صعدا إلى السلاملك، ثم إلى بهو الاستقبال الكبير، واتخذا مجلسهما بارتباك على كثب من الباب بالموضع الذي

اختارته أمهما قبل ذلك بعامين. وجرى بصرهما سريعا على البساط الغزير الذي يغطي أرض الحجرة الواسعة، والمقاعد الكثيرة الأنيقة، والطنافس والوسائد والستائر التي تنهض على الجدران كالعمالقة، والنجفة المتدلية في هالة لألآءة من سقف عال انتشرت بجوانبه المصابيح الكهربائية وأشار حسنين إلى النجفة وقال بسذاجة:

- مثل نجفة سيدنا الحسين؟".

يصور لنا هذا المقطع الوصفي نموذجا آخر من الأثاث الذي يتسم بالفخامة والطول والجمال وتناسق الألوان وعلو فضائه وديكوره الرائع فضلا عن نفاسة مواده وغلاء ثمنه. إن هذا الأثاث - إذاً- يصور مكانًا فاخرًا لطبقة اجتماعية بعيدة عن طبقة حسن وحسين بعد الشمس عن الأرض. وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على مدى التفاوت الطبقي والاجتماعي في مصر إبان الثلاثينيات.

وخلاصة الأمر: إن وصف الأمكنة لا يمكن أن يتم بدقة ولا يمكن بالتالي أن نحيط به من كل جوانبه إلا إذا ربطنا المكان بأمتعته وفضائه المؤثث. إن فراغ المكان يعبر عن الفقر المدقع والجدب الفضائي وكثرة الأحزان ومأساوية الرؤية التي من سماتها القلق والرفض والقنوط والتمرد عن الواقع الطبقي. أما

المكان المؤثث بأروع الأمتعة وأفخمها ديكورا وقيمة فإنه يعـــبر عن بداية الحياة وانتعاش السعادة و الاهتمام بـــالثراء الـــدنيوي التجميلي ناهيك عن طموحات أرستقراطية قوامها حب التملك و"التسلطن" واستغلال النفوذ.

وعليه، فالأثاث وأمتعة المكان عبارة عن علامـــات أيقونيـــة ودوال سيميولوجية، تعبر عن أوضاع اجتماعيـــة واقتـــصادية وحالات سيكولوجية ورؤى فلسفية وواقعية. لذا ، على الروائي أو القاص أن يشتغل على الأثاث وأن يوظفه قدر المـــستطاع، وأن يكثر من وصفه بدقة وإسهاب حسب الـــسياق النـــصي والذهني والجنسي وأن تكون له رؤية للعالم من خـــلال تأثيثـــه للأمكنة بطريقة فلسفية عميقة وخاصة به.

الهوامش:

– آلان روب گرييه: نحو رواية جديدة، ترجمة: مصطفى إبـــراهيم مصطفى، دار المعارف، مصر، دون سنة للطبـــع، ص:١٣٠؛- نجيـــب محفوظ: بداية ونهاية، دار القلم، بيروت، لبنان، بدون تـــاريخ للطبعـــة، ص:٣٢؛

– نجيب محفوظ: بداية ونهاية، ص:٨؛

– المصدر السابق، ص: ١١٧؛

– نفس الرواية، ص:١٢٢؛

الخـــــــــــــــاتمة:

عشر نصائح أخيرة :

١ - قبل أن تكتب أي موضوع ، عليك أن تسأل نفسك أولاً: ما الجدوى من كتابته؟ وهل هناك فرصة كبيرة لنشره بأية وسيلة؟ وهل سيلاقي صدى وإعجابًا في حالة نشره؟ إذا كانت الإجابة بالنفي عن أي واحد من هذه الأسئلة، فلا تبادر لكتابته، إلا في حالة كون ذلك تمرينًا على ممارسة الكتابة.

٢ - انتبه لما يكتب في بيئتك الثقافية فثمة مجالات متعارف عليها عليك أن تكتب فيها، ولا ترسل كتاباتك لأي وسيلة نشر قبل أن تطلع على أشكال ومضامين وأساليب الكتابات المنشورة فيها لكي لا تكون هناك مبررات لعدم نشرها.

٣ - إذا خُيرت بين أن يكون موضوعك مشوقًا وجذابًا أو أن يكون ذا فائدة للقارئ ، فاختر الأولى لأن الثانية قد لا تتحقق بانعدام الأولى. ثم إن الإمتاع من أهداف الكتابة الرئيسة وفوائدها المهمة. وإذا استطعت الجمع بين الاثنين فقد أصبحت كاتبًا.

٤ - كل أصحاب المهن والحرف بما فيها الحرف البسيطة يسعون لتطوير مهاراتهم. وعليك أنت ككاتب أن لا تنسى ذلك. فحاول تطوير مهاراتك بشتى الطرق والسبل.

٥ - لا تقرأ كتابات الآخرين لتعرف فحواها ومضامينها فقط. تمعن كثيرا في طرق بنائها وأساليب صياغتها فهذا ما ينفعك ككاتب، أما المعاني والآراء والأحكام والفرضيات الموجودة في الكتابات فيمكن أن يلخصها لك أي صديق في مقهى.

٦ — لا تسرف في استخدام الكلمات فلرب كلمة واحدة تعبر عن ثلاث أو أربع كلمات. اختر الكلمات التي تعبر عن أفكارك بدقة ووضوح وإيجاز وابتعد عن الكلمات والعبارات المجانية المتداولة كثيرا.

٧ - لا تتهافت على النشر فهو ملحق بالكتابة.صحيح أن الشهرة مطلوبة للكاتب لأنها تساعد على ترويج أفكاره، ولكن الأفكار الطازجة صعبة المنال. فمن دون أفكار طازجة ماذا سيروج الكاتب الشهير؟ سيقع حتمًا في التكرار والنمطية، ولهذا يوجد الكثير من الكتاب المشهورين الذين لا يعبأ احد بكتاباتهم.

٨ - تأكد أن الكمال لله وحده فقط، وان الخطأ وارد في كل ما هو بشري ، فلا تبتئس أو تتذمر عندما يقال لك: إنك أخطأت، فالحق باطل مصحح ، والعدالة ظلم مصحح. والتعلم من أخطاء التجربة لا يدركه ولا يفيد منه إلا الناجحون فقط.

٩- إن أفضل وسيلة لتعلم الكتابة هي أن تكتب يوميًا ما معدله ١٥٠ كلمة تصف خلالها ما مر عليك خلال اليوم من مواقف وأحداث حقيقية،على أن تحتفظ هذه الكتابات وتراجعها بين مدة وأخرى، لترى مدى تقدمك، ولا بأس من عرضها على من هم أكثر خبرة منك لتقويمها.

١٠- ضع لنفسك مواقيت محددة تراجع فيها ما حققته وما أنجزته في مدة زمنية محددة. ما الذي أفدت منه؟ ما طبيعة أخطائك ؟ ماذا أعددت للمستقبل؟ اسأل نفسك الكثير من الأسئلة واجب عنها بصدق فليس هناك ما هو انفع من مراجعة الذات.

المصـــــــادر :

١ – المعرفة – الدكتور محمد فتحي الشنيطي – مكتبــة القــاهرة الحديثة – القاهرة – الطبعة الثالثة – ١٩٥٦.

٢ – كيف تكتب بحثا او رسالة – الدكتور احمــد شــلبي – دار النهضة المصرية – القاهرة – ١٩٦٦.

٣ – دراسات معاصرة – مجموعة ابحاث مترجمــة – دار الثقافــة الكردية – بغداد – ١٩٧٥.

٤ – صحافة بلا دمــوع –. J. Radford Evans ترجمــة باحثة الجومرد – الموسوعة الصغيرة – العدد ١٤٩ – ١٩٨٤ – بغداد.

٥ – كبار الكتاب كيف يكتبون – ترجمة كاظم سعد الدين – دار الشؤون الثقافية – بغداد – ١٩٨٦.

٦ – سمها تجربة – بقلم ارسكين كالدويل – ترجمة علي الحلــي – دار الشؤون الثقافية – بغداد ١٩٩٠.

٧ – في تجربة الكتابة – س.ر. مارتين – ترجمة ، تحرير السماوي – إصدارات دار المدى سلسلة كتاب للجميع ، التسلسل ٢٥ – بغداد- ٢٠٠٦.